في انتظار السيد

تقديم المسرحية

كاتب يبشر بمسرح مضاد

بعض مسرحياته غريبة مثقلة بالرموز. إنه لا يكتب لقارئ هوايته المطالعة الأدبية، وإنما ينتظر بشوق متفرجاً من نوع جديد، ولذلك نجد مسرحياته تتيح هامشاً عريضاً لحركة المخرج وخَلْقه وتفسيراته.

إنه ليس كاتباً عبثياً

ففكره يؤكد على الأصالة القومية والتراثية في شيء من المحافظة، وشكله الفني يحمل تجديداً مستقى من تجارب الطليعة في العالم.

وهو في هذه المسرحية كاتب تجريدي، بمعنى أنه يصور الأفكار ويجسدها، معيداً إلى ذاكرتنا أعمال الرمزين في الأدب والمسرح، مبتعداً عن التقليدي في الدراما وتصوير الشخصيات، وهذا ما يعطي هذه المسرحية طابعاً ذهنياً خالصاً.

جرأته الفنية لافتة للنظر

فهو يطمح لأن يستغل جميع عناصر الخشبة في التعبير من إضاءة وديكور وإكسسوار.

إن تجاهله للتقليدي السائد والتجاري المبتذل جدير بالاحترام؛ لذلك نجد مسرحياته التجريبية تتفتح بكثرة كالبراعم من شجرة الفكر.

د. رياض عصمت

الشخصيات

الجوّال

التابع

الراعية

رجل

رأس الغول

تابعان

الشحاذ

جابي الضرائب

شهداء

مقاتلون

تاجران

أطفال

شخصيات أخرى

الفصل الأول

المكان فلاة مجدبة ممتدة، ليس فيها من مظاهر الحياة غير شجرة واحدة بيضاء أسطورية، إنها تشبه شجرة نراها في حلم ثقيل، في أسفل جذعها منشار غائص فيه قليلاً. تتوزع في الفلاة أكثبة رملية متداخلة وصخور قاسية لها هيئات وأشكال غريبة.

في العمق جبال مرتفعة حادة القمم، منظرها يوحي بقافلة تسير، وبينها وبين الجدار الخلفي للمسرح فراغ يغمر بالظل والنور.

الزمان افتراضي، والمسرحية تبدأ والشمس لم تشرق بعد، ثم ما تلبث أن تظهر خلال العرض شاحبة بشكلها المربع من خلف السلسلة الجبلية، ولا ترتفع إلا قليلاً، وفي أقصى ارتفاع لها تبقى ملامسة للمنحدر في فرجة بين جبلين.

يدخل من يمين المسرح مسافر جوّال يحمل كشكولاً على ظهره ويقف أمام الجمهور.

الجوال : **(يضع الكشكول على الأرض)** أعرفكم بنفسي، أنا مسافر جوّال، عابر سبيل، أحمل هذا الكشكول وأتجول بين البلدان.

(يدخل التابع مسرعاً فيتعثر ويكاد يسقط، ينهض ويثبت الكاميرا المعلقة على صدره)

التابع : وأنا تابعه، تماماً مثل على جناح التبريزي وتابعه قفة، ولكنني تابع لي كرامتي وشخصيتي، فأنا مثله تماماً، في الحقيقة هو تابع لي أيضاً فأنا الذي أحسّن وأخْرِج بضاعته التي في كشكوله هذا وأروِّج له، بمعنى آخر أنا شريكه ومدير أعماله.

الجوال : مدّاح نفسه ما منه خير **(للجمهور)** أنا منذ سنين أمرُّ بهذا البلد وأقدم للناس شيئاً من بضاعتي.

التابع : وما الذي تركته بضاعتك من أثر في الناس، بضاعتك دائماً إما فجة لم تنضج بعد، أو قديمة جداً، والناس يعشقون الجديد، ولولا أنني أجمِّلها بتقنياتي الحديثة لَرموك بالبيض الفاسد.

الجوال : عيب يا رجل، هل تريد أن ننشر غسيلنا أمام الناس، عندي لسان أطول من لسانك، لكنني رجل محترم.

التابع : النقد لا يقلل من الاحترام.

الجوال : النقد وليس التجريح، النقد يجب أن يكون بنّاءً لا هادماً.

التابع : ونقدي بنّاء دائماً، أنت تعلم أننا فرقة جوالة واحدة، أنا هو أنت ، وأنت هو أنا، أنت تسطر أفكاراً وصوراً وأنا أجسِّدها، لكن اعذرني، فأنا صريح قليلاً ولساني بلا فرامل.

الجوال : باختصار ماذا تريد مني؟ وكن مؤدّباً وفَرْمِل كلامك.

التابع : أريدك أن تتغير وتتطور، الناس هنا غارقون حتى شحمة الأذنين في المسلسلات التلفزيونية التافهة يحسبون أنها هي الدراما والتاريخ الحقيقي، والناس هناك وصلوا بالفن إلى حدود المدهش والإعجاز.. ومهمتك أن تجد الطريق إلى ما هو جميل ومدهش وجماهيري، وإلا فأنا مضطر إلى الاستقلال عنك وإعلان موتك كما فعل غيري ممن أعلنوا موت المؤلف.

الجوال : لقد تغيرتُ وستتأكد من ذلك بنفسك، لقد تغيرتْ أشياء كثيرة في هذه المدينة وفي العالم فتغيرت، ولكنني لا أنساق وراء المتحوِّل الذي يمحو ملامح الهوية.

التابع : كلما سألتك شيئاً ألقيت عليّ محاضرة في الوحدة والهوية، ونحن في عصر الانقسام، الدولة تصير دولاً وشعوباً ، والهوية تتمزق إلى هويات.

الجوال : وهل تريدني أن أروِّج لهذا الانقسام؟

التابع : لا أريد منك أن تكون غير ما أنت. قل لي ماذا في هذا الكشكول قبل أن ندخل المدينة ونبدأ العمل؟

الجوال : **(يبحث في الكشكول)** كتب وصور وأخبار، ولدي بضع قصص واقعية ورمزية وتعبيرية جاهزة للتشخيص.

التابع : أعرفها فقد قرأتها ولي ملاحظات حولها.

الجوال : إذن أنت الذي كنت تعبث في أغراضي في غيابي.

التابع : ما أظنك تخفي كنوزاً في هذا الكشكول. دعنا نبدأ بالقصة الأولى.

الجوال : **(يخرج من الكشكول قرص مدمج مبالغ في حجمه ويقرأ عنوانه)** تراجيديا الضوء واللون. هذه القصة بالرغم من رمزيتها فإنها تحمل رؤية تاريخية هامة.

(يخرجان. إظلام)

تراجيديا الضوء واللون

(تظهر لافتة ضوئية بعنوان المشهد)

(ترتفع أنوار خفيفة)

الجوال : **(صوته تسجيلي)** حدث ذلك ذات ليلة. كان الراعي الفقير قد هبط من غار في الجبل كان يخلو فيه إلى نفسه ويتفكر، ونام تحت شجرة مباركة **(بقعة ضوء على الشجرة وشخص غير واضح المعالم ينام تحتها)** وفي الصباح فتح عينيه فوجد على الشجرة حلة خضراء وقطيعاً جميلاً **(ينهض الراعي ويرتدي الحلة، وبقع من الضوء الأخضر تتقافز في المكان)** وسار الراعي بحلته الجديدة يتبعه قطيعه **(يسير الراعي مبتعداً، وصوت ناي عذب)** كان يزرع الخصب أينما حلّ، وامتدت مراعيه وراء الصحارى والجبال والبحار **(النور الأخضر يعم المسرح)** وانصرمت السنون وتوقف الزمن، وفقدت حلته لونها الأخضر، وتشرد قطيعه وافترسته الذئاب، وأجدبت مراعيه **(يخف النور بالتدريج وتغمر المسرح الظلال، وتتوضع فيه بقع صفر، وفي عمق**

المسرح يقف الراعي كظل لا يبين وهو في وضعية التثبيت متكئ على عصاه، وينقطع صوت الناي، ويعلو صوت الريح) فقد الطريق إلى شجرته المباركة، وراح ينام تحت الأشجار الجرداء، وذات صباح كئيب استيقظ فوجد في معصميه القيود، فغضب وانتفض وثار **(نور أحمر يتوضع بشكل بقع)** حطم القيود وسار يبحث لحلته التي حال لونها عن لونها الأخضر **(تتوالى البقع الحمر في حركة وصراع مع البقع الصفر)** الدرب طويل طويل، وهو يكبو وينهض، وأمامه واد كبير ، وديان كثيرة، ومخاطر ومهالك، وهو يسير ، متعثراً تارة، مستقيماً تارة أخرى، ولكنه مصر على العثور على لون حلته الضائع، وجمع أشتات القطيع.

(إظلام)

الراعيـــة

(لافتة ضوئية بعنوان المشهد)

(تدخل امرأة هي الراعية، تسقي الشجرة وتغني)

الراعية : سافر يا ماء
في أعماق الجذر
واصعد نسغاً في الأغصان
فغداً تهتزُّ الأفئدة الحطبية
وغداً تلد الأغصان الذهبية
فجراً وبراعم أو نار
وغداً سيعود الغائب للدار

(يدخل رجل في ثياب بيض، يعصب رأسه بمنديل أحمر)

الرجل : ماذا تفعلين يا امرأة؟

الراعية : أسقي الشجرة وأسرح بها في المراعي.

الرجل : وهل الشجرة شاة ترعى؟

الراعية : هذه شجرة ذات حياة.

الرجل : ولكنها لا تورق.

الراعية : ستورق عندما تطلع عليها الشمس.

الرجل : لقد مرت عليها الفصول الأربعة مرات عدة وهي هامدة لا تتحرك، إنها ميتة.

الراعية : كيف عرفت أنها ميتة؟

الرجل : جثتها تشبه جثتي المدفونة هناك في الطين

على شاطئ النهر.. أواه كم شهد ذلك النهر من أحداث.

الراعية : وهل تعتبر نفسك ميتاً؟

الرجل : وهل أنا غير ذلك، انظري، خطواتي بطيئة، وهذه الثياب حال لونها ولا أستطيع أن أبدلها.

الراعية : نحن لا نعتبرك ميتاً، أنت تعيش فينا.

الرجل : لو أن الأمر كما تقولين لكنتم غير ما أنتم عليه، انظري.. كل شيء ساكن، هذه الحقول أصبحت كجثة هامدة نزح أكثر الناس عنها، وهذا النهر يمتلئ بالجثث حتى عاف الناس أكل الأسماك. لا.. لا يمكن أن أكون حياً فيكم.

الراعية : أنت في خلايانا كالكهرباء الساكنة، ولا بد لها أن تنفجر يوماً بالحركة.

الرجل : وهذه الشجرة هل تعتقدين أنها ستعود للخصب إذا أشرقت عليها الشمس؟

الراعية : بالتأكيد، وأنا أنتظر.

الرجل : ألهذا تثابرين على سقيها؟

الراعية : أجل، عندما يموت انتظاري تموت الشجرة.

الرجل : **(يمضي)** سأظل روحاً هائمة حول هذه الشجرة حتى يعود الخصب. **(يخرج)**

الراعية : **(تدور حول الشجرة وتتحسس بأصابعها أسماء محفورة على جذعها)** هذا اسم حبيبي، كان يحمل قوسه الذهبية يصطاد بعض الطيور الملونة التي لا تطير ولا تؤكل. **(تلمس اسماً آخر)** وهذا اسم حبيب آخر كانت خيمته السامقة تجتذب المسافرين، يأكلون فيها طعاماً لا يتناوله فم، وخمرة لم تعتصر، ثم يرحلون. **(تلمس ثالثاً)** وهذا كان شاعراً ما أروعه وهو ينشد لي قصائد لم تنتظمها كلمات. **(تلمس اسماً رابعاً)** وهذا الحبيب.. كم حدثني عن معاركه، كان يعود إليّ مع مركبة الشمس فأنفض عن ثيابه غبار المعارك، كان الغبار يتطاير إلى شفتي فيستحيل طيناً لزجاً لذيذاً، كان أحلى من ألف قبلة. **(تغني وتسقي الشجرة)** حبي شجرة

أمسي شجرة

وغدي شجرة

وأنا أنتم شجرة

والماء يسافر في الأغصان.

(إظلام)

المحاكمـة

(لافتة ضوئية بعنوان المشهد)

(إنارة، بخطوات ثقيلة يرتج لها المكان يدخل رأس الغول، وهو كائن غريب له ثلاثة رؤوس: الأول قسمان أبيض حواري وأحمر قاتم بلون الدم الفاسد، والرأس الثاني أسود، والثالث أصفر فاقع مرقش كجلد الحية. يجر وراءه بسلسلة طويلة مسخين تابعين له، الأول برأس قرد، والثاني برأس كلب، يحررهما من رباطيهما ويجلس كقاض، ويقفان بجانبيه.

رأس الغول : **(للأول)** أحضر المتهم الأول.**(يخرج التابع الأول)** أرجو أن يكون العشاء دسماً هذه الليلة. **(للثاني)** وأنت، افرك لي رجلي **(يفرك له رجليه، ثم يأخذ مكانه عندما يدخل المتهم)**.

تابع١ : **(يدخل)** هذا هو المتهم الأول سيدي.

رأس الغول : ضعه أمامي، ما اسمك؟ **(الرجل لا يجيب)** أجب عندما أسألك، ما اسمك؟ **(الرجل ينظر بتحد، يبصق)** سأعلمك كيف تحترم القضاة. أخرج بطاقته الشخصية.

تابع ١ : **(يأخذ البطاقة ويقرأ)** اسمه شجرة.

رأس الغول : شجرة! ابن من؟

تابع١ : ابن شجرة.

رأس الغول : أتهزأ بنا؟ من زودك بهذه البطاقة. **(الرجل يضحك)** الوغد.. إنه يسخر مني.

تابع١ : دائرة الأحراج، التاريخ.. أوه .. أكثر من ألف عام.

رأس الغول : ماذا وجدتما معه؟

تابع٢ : **(يبرز صورة)** وجدنا هذه سيدي القاضي.

رأس الغول : هذه شجرة.

تابع٢ : نعم، كان يخبئها في صدره.

رأس الغول : هذا دليل كاف على المؤامرة، خذه، يجب أن يعترف، لقد زودتكم بتقنيات حديثة تجعله يعترف، أحضر التالي. **(يخرج بالرجل، ويشير رأس الغول للثاني بمتابعة فرك رجليه)**

تابع١ : **(يدخل ومعه طفل)** هذا طفل ضبط وهو يقرأ في كتاب.

رأس الغول : أين الكتاب؟

تابع٢ : **(وقد عاد إلى مكانه)** هذا هو الكتاب سيدي، **(يعطيه إياه)** إنه يتحدث عن تاريخ الشجرة.

رأس الغول : من أين حصلت على هذا الكتاب؟

الطفل : قالت أمي: عندما ولدت كان هذا الكتاب في يميني.

رأس الغول : من رحم أمك! أتسخرون بي، قل لي من الذي يوزع هذه المنشورات الممنوعة؟

الطفل : لا أعرف كيف أسخر أو أحقد، فأنا ما زلت صغيراً، وهذا كان معي منذ ولدت، حروفه لم تكن مفهومة، ولكني كلما كبرت كانت حروفه تكبر وتتضح أكثر.

رأس الغول : يتكلم كلاماً غريباً وخطيراً وما يزال طفلاً. خذوه، ادفنوه مع كتابه قبل أن تصبح الكلمات حراباً.

الطفل : قالت أمي: لا تخف يا ولدي، إذا دفنوك ستولد ثانية من رحم الأرض ولادة أجمل.

رأس الغول : أحضر المتهم الثالث. **(يعود الثاني لفرك الرجلين، ثم يأخذ مكانه مع دخول الراعية).**

تابع١ : هذه المرأة ضبطت وهي تسقى الشجرة وتغني.

رأس الغول : هل سقيت الشجرة؟

الراعية : أجل سقيتها، هل جئت شيئاً ممنوعاً؟

رأس الغول : أنت تنتهكين قانون البلاد.

الراعية : بلادي وأعرف قوانينها.

رأس الغول : بلادك هناك، في الصحراء، يمكنك أن تعودي إليها، هذه بلادنا نحن.

الراعية : وهذه الشجرة، من زرعها؟ أنا التي زرعتها من قبل أن تخلق أنت.

رأس الغول : سأقطعها.

الراعية : حاول.. لن تستطيع.

تابع٢ : سيدي ماذا نفعل بهذه المرأة؟

رأس الغول : هذه أخطر من الجميع، إنها الأم الكبرى، يجب أن تموت، استل سيفك واطعنها في القلب **(يستل الثاني سيفه)** اطعن..اطعن، لا تأخذك بها رحمة **(يطعنها، فيجد أنه يطعن في الهواء)** أين هذه المرأة .. أين هربت؟

تابع٢ : انسلت كالطيف ووجدت أني أطعن الهواء.. سيدي أعتقد أنها مجرد وهم.

رأس الغول : أنا لا أتوهم.

تابع٢ : إذن كيف اختفت تلك اللعينة؟

رأس الغول : هذا ما يحيرني.

تابع٢ : الأولان كانا حقيقيين، أما هذه!

رأس الغول : لا شك أنها أم ذلك الطفل. إنها حقيقية أيضاً. أنتما فاشلان، عليكما أن تبحثا عنها، لم أعد أثق بأحد. سأحضر بنفسي جلسة تحقيق، هيا اتبعاني **(يضع المقود في عنقيهما ويخرجون. إظلام)**

. . .

(إنارة، رأس الغول، ورجل ربط ساعداه بحبلين والتابعان يجرانه باتجاهين معاكسين كلعبة شد الحبل)

رأس الغول : اذكرني بخير واذكر إلهك بشر **(الرجل صامت)** يا ابن العاهرة اذكرني بخير واذكر إلهك بشر. **(الرجل صامت وينظر إليه بتحد)**.

تابع٢ : آه.. لقد تعبت، إنه كالخنزير.

تابع١ : لا أدري كيف يتحمل كل هذا التعذيب.

رأس الغول : اسمعا.. يجب أن يتكلم، فهمتما؟

تابع١ : جربنا كل التقنيات الحديثة، إنه جدار.

رأس الغول : أنتما المسؤولان إن لم يتكلم، سأمزقكما إربا إربا. إنه يقتلني بصمته، يهينني، يمرغ سمعتي في الوحل يريدني أن أركع أمام قوة تحمله وصمته. شدا أكثر، اشطراه شطرين، **(للرجل)**

تكلم.. تكلم.. اذكرني بخير واذكر إلهك بشر **(الرجل يضحك بسخرية كبيرة)** وتضحك أيضاً؟ ماذا تأمل، نحن نملك العالم، نسيطر على مقدرات الكون، نسري في كل شريان، نسقط حكومات، نرفع حكومات، نقطع علاقات، نعقد علاقات، نزرع الموت على مفارق الطرق، نحاصر الكائنات، العالم كله قريتنا، تجدنا في كل بذرة تنتش، في كل لقمة طعام، في كل كأس، في كل ذرة من الهواء، ماذا تأمل، لي قوة كل الوحوش، أستطيع أن أبقيك مصلوباً إلى الأبد على هذه الشجرة **(الرجل يصوب نظره إلى البعيد حيث الجبال)**.

تابع١ : سيدي، إنه ينظر إلى البعيد ..هناك وراء الأفق، وفي عينيه شعاع.

رأس الغول : ماذا تنتظر أيها الأبله؟ لا يوجد وراء هذه الجبال غير الليل.. الليل الذي زرعت بذوره أنا.

تابع٢ : عليه اللعنة، إنه لا يعبأ بكلامنا.

رأس الغول : شدا الحبل أكثر فأكثر، يا له من شيطان، كيف يتحمل كل ذلك؟

تابع١ : لماذا لا نبعده عن هذه الشجرة، إنه يستمد قوته منها.

رأس الغول : إلى أين؟ أينما وضعناه انتصبت هذه الشجرة أمامه.

تابع١ : سيدي ، مازال ينظر إلى البعيد.

رأس الغول : **(هائجاً)** شدا بقوة أكبر، شدا.. حتى يذكرني بخير ويذكر إلهه بشر.

التابعان : **(يشدان بقوة ويغنيان مثل البحارة)**

هيلا هوب

عندك جندرمة يا ريس

بتهدّ الدنيـــا يا ريس

الليـــل كويس يا ريس

والعالم ضيعة يا ريس

هيلا هيلا

هيلا هوب

(يجذبان ساعدي الرجل بقوة فينفصلان عن جسمه ويسقط التابعان على الأرض.

إظـــلام)

الشحاذ ومحصل الضرائب

(لافتة ضوئية بعنوان المشهد)

(شحاذ عجوز يتوكأ على عصا، ومن الطرف الآخر يدخل جابي الضرائب على دراجة)

الشحاذ : وأخيراً التقيت بشخص **(الجابي يتابع السير)** هيه..أيها السيد.

الجابي : ماذا تريد؟

الشحاذ : هل أنت من سكان هذه المدينة؟

الجابي : نعم و لا..

الشحاذ : كيف!؟ دعنا من الألغاز.

الجابي : أنا من هذه المدينة، ولكنني لم أولد في زمن معين أو بيت محدد.

الشحاذ : إذن، أنت منها وخارج عنها.

الجابي : صحيح.

الشحاذ : وأين سكان المدينة؟ أنا لا أرى أحداً.

الجابي : الآن وقت القيلولة، إنهم نائمون.

الشحاذ : ولكنني هنا منذ سنوات، وكلما مررت أجد الشوارع خالية!

الجابي : وقت القيلولة طويل هنا، الدورة الزمنية مختلفة. نحن في كوكب آخر.

الشحاذ : لعلهم ميتون.

الجابي : لا.. إنهم نائمون فحسب..أف..الحر شديد.

الشحاذ : حر بلا شمس!؟

الجابي : نعم حر ولا شمس، منذ زمن طويل لم تشرق الشمس على المدينة. **(يصمت)** اسمع، يبدو لي أنك تعرف كل شيء ولكنك تسخر مني ومن جهلي.

الشحاذ : أنا لا أسخر من أحد، علمتني الشيخوخة أن أحترم جميع الناس، ولكن أنت ماذا تفعل هنا؟

الجابي : أنا محصل الضرائب في هذا البلد.

الشحاذ : منذ متى وأنت تعمل هنا؟

الجابي : منذ أن ولدت هذه المدينة، ولدت بعملية قيصرية، ولكنني لا أحصل أموالاً.

الشحاذ : يبدو أن بيننا أشياء مشتركة، أنا سائل ولكنني لا أطلب مالاً. قل لي ما الذي تحصّله من الناس؟

الجابي : أحصل أفكاراً وجنوناً.

الشحاذ : جنوناً!

الجابي : نعم، أشياء خارقة للعادة، القيام بها ضرب من الجنون.

الشحاذ : أرني ما جمعت (**ينظر في الجعبة المعلقة في الدراجة**)

الجابي : هذه أشياء قديمة، لكنها ما تزال رائعة. هذه كتب طب، فلسفة، صيدلة، تاريخ، فلك، جبر.

الشحاذ : ما هذه؟

الجابي : مداليات ذهبية كسبها أصحابها في الحروب.

الشحاذ : وهذه؟

الجابي : صور لمعارك قديمة، ثورات حقيقية.

الشحاذ : وماذا جمعت من جديد؟

الجابي : لا شيء.

الشحاذ : ولماذا؟

الجابي : ألا ترى، الشوارع مقفرة، والبيوت مغلقة؟

الشحاذ : وماذا تفعل إذن؟

الجابي : أنتظر.

الشحاذ : انظر، الدخان يتصاعد من مداخن البيوت.

الجابي : وهذا ما يحملني على الانتظار.

الشحاذ : هل أهل المدينة أغنياء؟

الجابي : أغنياء جداً ولكن لا يعلمون، انظر، أراضيهم من ذهب، ولكنهم لا يفلحونها.

الشحاذ : ولماذا؟

الجابي : لأنهم يعتقدون أنها تربة فقيرة. ولكن عندما تمطر السماء سيتأكدون من ذلك. **(الشحاذ يتابع طريقه)** هيه..أيها الشيخ.

الشحاذ : ماذا تريد؟

الجابي : أنت ترحل من غير أن أعرف عنك شيئاً.

الشحاذ : اسألني.

الجابي متى وصلت إلى البلد؟

الشحاذ : قل متى تصل؟ والجواب أصل إليها عندما يكون أهلها نياماً.

الجابي : وما الذي تشحذه من قوم نيام!؟

الشحاذ : وأنت ما الذي تجبيه من قوم نيام؟

الجابي :: أنا أنتظر حتى يوقظهم موقظ.

الشحاذ : وبعد ذلك تجبي منهم ما استحق عليهم.

الجابي : أجل، ولكن بالله عليك، أنت ما الذي جئت تفعله ؟

الشحاذ أنا قادم إلى أهل هذه المدينة برسالة من يقرؤها يستيقظ. انظر في جعبتي رسائل كثيرة، وأنا سائل جوال، أجوب البلاد . هناك مدن كثيرة مداخنها يتصاعد منها الدخان وأهلها نيام ينتظرونني.

الجابي : كيف يقرأ رسائلك النائمون؟ إنك تخرّف يا رجل.

الشحاذ : اسمع، أنت لن تفهم هذا، أنا أوقظ لك الناس وأنت تجبي الضرائب منهم، هل اتفقنا؟

الجابي : اتفقنا.. وداعاً.

الشحاذ : وداعاً.

الجابي : أيها الشيخ، أنت تسير في الاتجاه المعاكس. لن تدخل المدينة إن سرت في هذا الاتجاه. المدينة في الغرب

الشحاذ : كلا .. المدينة في الشرق.

الجابي : كيف سندخل المدينة وكل منا يسير في اتجاه.

الشحاذ: : اطمئن، سندخلها معاً ونلتقي فيها. المكان نسبي، وعندما ندخلها معاً ستكون المدينة لا شرقية ولا غربية. **(الجابي يبكي)** لماذا تبكي؟

الجابي : أنت تعرف كل شيء، ولذا فأنت تحطمني وتلغيني.

الشحاذ : ستتعلم، أنت تنمو، الأشجار تنمو لأن الفصول الأربعة تتصارع في عروقها. احرص على الأفكار المتصارعة.

الجابي : لا تذهب. لن أقول وداعاً بدأت أتعلق بك، أنا خائف وأشعر بالاطمئنان بقربك.

الشحاذ : ومم تخاف؟

الجابي : أخشى ألاّ يستيقظ أهل المدينة فتبقى محفظتي فارغة.

الشحاذ : لا تخف، سترى أن محفظتك هذه لن تكفي.

الجابي : هل تظن أن محصول هذه السنة سيكون وفيراً؟

الشحاذ : بل أعتقد ذلك.

الجابي : إذن..وداعاً.

الشحاذ : وداعاً. **(يخرجان)**.

السـيد

(لافتة ضوئية بعنوان المشهد)

(رأس الغول وتابعاه يفحصون الشجرة)

رأس الغول : افحصاها جيداً، انظرا في الأغصان، نهايات الأغصان.

تابع ١ : سيدي..سيدي.

رأس الغول : هل رأيت شيئاً؟

تابع ١ : أرى برعماً هنا.

رأس الغول : **(يفحصه بعدسة مكبرة)** لاشيء هذه حشرة صغيرة، تابعا البحث.

تابع١ : **(يلمس الأرض)** التراب ندي.

تابع٢ : يخيل إلي أن هذا الغصن بدأ يخضر ويورق.

رأس الغول : يبدو أن الراعية لا تزال تسقي الشجرة.

تابع٢ : هل أقطع الغصن؟

رأس الغول : لن يفيد قطعه، سينمو من جديد وبشكل أقوى.

تابع١ : وما العمل؟

رأس الغول : يجب ألا تفلت منا تلك المرأة، تابعا البحث، وراقبا المكان، وقدما لي تقريراً بما يحدث، لدي معلومات أن اجتماعاً معادياً سيعقد هنا.

التابعان : حاضر سيدي.

(يخرج رأس الغول، ويدخل رجل يسير جيئة وذهاباً أمام الشجرة)

تابع١ : **(للثاني)** هل رأيته من قبل؟

تابع٢ : أعتقد أني رأيته.. ربما ضربت عنقه من قبل.

تابع١ : هيه.. من أنت أيها الرجل؟

الرجل : أنا من أهل هذه المدينة.

تابع١ : ماذا تفعل هنا؟

الرجل : أنتظر، عندي موعد.

تابع١ : مع من؟

الرجل : مع السيد.

تابع٢ : وما اسم هذا السيد الذي تنتظره؟

الرجل : اسمه السيد.

تابع١ : هكذا..! وهل وعدك أن تلقاه هنا، تحت هذه الشجرة.

الرجل : نعم.

تابع٢ : دعني أضرب عنقه، إنه يسخر منا.

تابع١ : حدثني عن هذا السيد، هل هو طويل أم قصير.

الرجل : أتخيله طويلاً.. طويلاً جداً.

تابع١ : وهل هو سمين أم نحيف؟

الرجل : لا هذا ولا ذاك.. إنه لا يأكل أبداً.

تابع١ : وما لونه؟

الرجل : أسمر حنطي، أو أبيض

تابع١ : أليست له علامة فارقة؟

الرجل : أتصور أن عينيه أوسع من عيون الناس، وأن أعضاءه تورق وتزهر في بعض السنين.

تابع٢ : أي تحقيق هذا؟ هذا الرجل مخبول أو متآمر يهزأ بنا. دعني أضرب عنقه.

تابع١ : هل أنت متأكد من أنك تعرف هذا السيد؟

الرجل : من قال ذلك، أنا لم أره من قبل.

تابع٢ : إذن كيف وصفته لنا؟

الرجل : أنا أتصوره فحسب.

تابع١ : وكيف عرفت أنك يجب أن تنتظره هنا؟

الرجل : تلقيت منه رسالة صباح هذا اليوم حملها إليَّ شحاذ.

تابع٢ : رسالة؟ إنه يدين نفسه، دعني أضرب عنقه.

تابع١ : هل السيد مثلنا، إنسان بجسم ورأس وأطراف، أم أنه برعم على شجرة؟

الرجل : أتهزأ بي؟

تابع١ : بل أسألك جاداً، وأنت ألم تكن يوماً برعماً على هذه الشجرة؟

تابع٢ : إنه يكذب ويسخر بنا، دعني أضرب عنقه.

تابع١ : اسمع ليس معنا أوامر بضرب عنقه أو اعتقاله، مهمتنا هي أن نبحث عن البراعم الوليدة.

تابع٢ : وهل نتركه هنا؟

تابع١ : بل نأمره بالرحيل. **(للرجل)** هيا .. اذهب إلى عملك.

الرجل : أنا على رأس عملي.

تابع١ : وما عملك؟

الرجل : الانتظار.

التابعان : **(في دهشة)** عمله الانتظار!؟

(يبدآن بالثرثرة الساخرة وبشكل إيقاعي)

تابع١ : الانتظار سكون، عدم، عطالة، انعدام للحركة.

تابع٢ : الانتظار موت.

تابع١ : الانتظار جوع.

تابع٢ : قدر تغلي فيه ماء وحجارة.

تابع١ : وهل الانتظار خطر؟

تابع٢ : كلا.. الانتظار جثة محشوة بالتبن.

تابع١ : الانتظار عمل الحمقى.

التابعان : **(يرددان)** قا..قا..قا

الرجل : **(يصرخ)** كفا عن الثرثرة.. أريد أن أسمع.

تابع١ : وماذا تسمع.

الرجل : وقع خطوات السيد حين يأتي.

تابع١ : لهجته تتغير، صوته يعلو على أصواتنا، فلنذهب ونخبر الرئيس.

تابع٢ : لو كنت أخذت برأيي لكنت ضربت عنقه أولاً ثم نستشير الرئيس بشأنه **(يخرجان)**

الرجل : مغفلان، الانتظار حركة وحياة.

(يدخل رجل٢ ومعه مخطط طبوغرافي، يسير

خطوات معدودة للأمام واليسار والخلف فيصبح ظهره ملامساً لظهر الرجل الأول بأقل ما يمكن من المفاجأة)

الرجلان : هل أنت السيد؟

الأول : صار الأمر مؤكداً، هل تلقيت رسالة ما؟

الثاني : أجل..حملها إليَّ سائل. هل سنمكث هنا طويلاً، ومتى يعقد الاجتماع.

الأول : لا أدري، الأمر متعلق بحضور السيد.

الثاني : انظر هناك شخص قادم، أهو السيد؟ **(يظهر الثالث وهو يحمل بوصلة)**

الأول : كلا.. السيد لا يحتاج إلى بوصلة للوصول إلى مكان الاجتماع.

الثالث : **(يتحسسهما)** هل أنتما حقيقيان؟

الثاني : ما الذي يحملك على هذا الاعتقاد، ألا ترى ثيابنا؟

رجل٣ : هذه المدينة مليئة بالرجال الحقيقيين وغير الحقيقيين، وكلهم يلبسون الثياب.

الأول : تقصد غير المرئيين.

الثالث : نعم، ولكن ماذا تفعلان هنا؟

الأول : ننتظر قدوم السيد.

الثالث : إذن، صرنا ثلاثة، هكذا يبدأ الأمر بواحد فاثنين فثلاثة.

الأول : فأربعة، ها قد جاء الرابع **(قادم غير مرئي)** إنه مدير مؤسسة البترول، وسعوا المكان. تفضل بروفسور، هنا المكان الذي تبحث عنه **(الحلقة تكبر)**

الثالث : انظر من القادم **(قادم غير مرئي)**.

الأول : هذا هو العالم ج.. كسب رائع لنا.

الثالث : ومن الذي جاء معه؟

الأول : رجل الصناعة المشهور وساعده الأيمن.

الثالث : يقولون إن العالم ج غير راض عنه، وكثيراً يحتج في الصحف ضده، فهو يستغل نظرياته العلمية واختراعاته في الإثراء الفاحش وصناعة أسلحة التدمير الشامل، كما سمعت بأنه يخونه مع زوجته الشابة.

الأول : ومع ذلك فهما معاً دائماً **(الحلقة تتسع)** افتحوا عيونكم جيداً قد يمر السيد في أية لحظة.

الثاني : وصل رئيس الدائرة الاجتماعية، ورئيس الدائرة السياسية.

الثالث : وصل رئيس قسم الأبحاث النووية.

الأول : وصل أمراء الحرب: أمير الساحل، أمير الجبال، أمير الجنوب.

الثاني : وصل الصحفيون ورجال الإعلام.

الثالث : وصل رجال الأعمال.

الأول : وسعوا الدائرة.. وسعوا الدائرة. ألا يوجد غريب بينكم يا سادة، فلنتأكد، كلمة السر.

(أصوات الحاضرين بالتتالي واضحة النبرة ثم تتلاشى ببطء مع الصدى)

الأصوات : رسالة..رسالة.. رسالة..رسالة..

الأول : حسن .. ليس بيننا غريب.

(تتوالى أصوات المرئيين وغير المرئيين بالكلام)

أصوات : - هل الاجتماع ضروري؟

- طبعاً ضروري
- لا..ليس ضرورياً.
- إذن لماذا جئت؟
- لأرى ما يحدث، ثم إن زوجتي تنظف البيت فطلبت مني الخروج.
- يا جماعة يجب أن نفعل شيئاً.
- ولماذا يجب؟

- لأننا استيقظنا.

- دعوني أذهب إلى مخبري، هذا الاجتماع لا يخصني.

- هيئوا لي ميكرفوناً أيها السادة، أريد أن ألقي خطبة.

- هو رئيس الدائرة السياسية يريد أن يلقي خطبة.

- أتعتقد أننا في مهمة رسمية.

- طبعاً

- إذن سيصرفون لنا تعويضاً، اجتماع على هذا المستوى يدفعون كثيراً.

- هذا إذا لم يحضر السيد ولم يعلن أنه مفلس.

- متى تصل الطائرة القادمة من موسكو؟ لعل السيد يكون فيها.

- ومتى تصل الطائرة القادمة من واشنطن؟ لعل السيد يكون فيها.

- السيد لا يصل بأية طائرة.

(يدخل شهيدان «٢،٣» بثياب بيض ويراقبان المشهد صامتين)

الثاني : كفى لغطاً يا جماعة، أنتم في اجتماع رسمي،

دعونا ننتظر السيد فهو الذي يحمل في يده جميع المفاتيح.

الثالث : فليراقب كل منكم جهته، لا تتركوا فراغاً بينكم، فإذا مر السيد لا بد أن نتعرف عليه.

الأول : انتبهوا جيداً، استعملوا حاستكم السادسة؛ فالسيد لا يرى ولا يلمس.

(صمت تام، يتجمد الجميع، يدخل شهيد آخر "١"، يصل متأخراً، ينتحون جانب المسرح، إضاءة على ساعة جدارية نصفها الأعلى مقطوع).

شهيد١ : لقد وصلت للتو.. ماذا يفعل هؤلاء؟ **(مشيراً إلى الرجال)**

شهيد٢ : يعتقدون أنهم يؤدون عملاً ما.

شهيد٣ : عملاً مهماً، مناضلون يحررون الأرواح من أسرها، هكذا يظنون.أتعتقد أنهم جادون؟

شهيد١ : ولم لا؟

شهيد٢ : ولكننا لم نفعل مثلهم.. لم نعقد اجتماعات ولم نلق خطباً.

شهيد : وما الضرر في ذلك، ربما فعل آباؤنا.

(شهيد٣ يحرك رقاص الساعة)

شهيد١ : لماذا تفعل ذلك؟

شهيد٣ : السكون موت.. أيتها الساعة المبجلة أسمعيني صوتك..تك..تك.

شهيد٢ : ألا ترى، رأسها مقطوع؟

شهيد١ : هراء، فالساعة إن كانت معطلة أو تعمل فإنها في الحالتين لا تخبرك عن حقيقة الزمن.

شهيد٣ : **(ساخراً)** وما حقيقته أيها المستجد؟

شهيد١ : حقيقة الزمن..ها..ربما لا وجود له أصلاً.. ألا يحتمل أننا نسعى وراء وهم أو أن الأحياء هم الذين اخترعوه؟ نحن الآن وراء الزمن وهذه هي الحقيقة.

شهيد٣ : فلسفة جديدة يحملها هذا القادم الجديد.

شهيد١ : لا تسخر، حدثني عن تجربتك يا جدي الأكبر.

شهيد٣ : أذكر أننا كنا نهاجم، نهاجم فقط. كنا نفضل أن نخسر معركة ونحن نهاجم من أن نربحها ونحن ندافع.

شهيد١ : منطق غريب. **(للثاني)** وأنت .. أنت لا تكبرني إلا قليلاً.

شهيد٢ : لا أذكر إن كان هجوماً أم دفاعاً، ربما بين بين، لكنه بالتأكيد كان تحريراً.

شهيد١ : إن كنتما على حق إذن لماذا قتلت أنا؟ كانت هنالك حرب، فتنة دامية، ومذابح، وكنت أقاتل مقابل راتب بسيط لإعالة أسرتي. وجدت نفسي أنسحب، أهرب، أركض بلا حذاء، كالأعمى بلا عينين، وفجأة استقرت رصاصة بين كتفي، وها أنذا أجد نفسي معكما.

شهيد٢ : ربما كان هنالك خطأ ما، نحن قتلنا من أجل قضية عادلة.

شهيد١ : جميل أن يموت الإنسان من أجل قضية عادلة في زمن عم فيه القتل على الهوية وأصبح ذلك حاجة كمالية.

شهيد٢ : في رأيي أن العدالة غير مقننة، إنها نسبية.

شهيد٣ : لا.. هذا أمر خطير يجعل كل من أكلته الحروب أو الفتن له الحق في أن يعتبر نفسه شهيداً. القضية العادلة أمر محدد وواضح جداً.

شهيد١ : هؤلاء **(يشير إلى المجتمعين)** إن قتلوا وهم في حالة الانتظار، ويثرثرون، أيمكن أن يكونوا شهداء.

شهيد٣ : لا وجود للمطهر، قرار كل منهم موجود في

ذاته، كما أن أمرهم لن يطول، وإلا سيعودون إلى بيوتهم وينامون ثانية حتى يمر سائل آخر بالمدينة يحمل رسالة.

(إضاءة على المجتمعين وهم يتحركون)

الأول : حضرات المجتمعين من مهندسين وعلماء ومؤرخين وأمراء وفلاسفة وطبقات عاملة وأصحاب مصانع وتجار، الذين وجدوا والذين لم يوجدوا، هل شعر أحدكم بمرور السيد من هنا؟ **(صمت)** ما العمل الآن؟

صوت : ربما لم يصل بعد.

صوت : ربما وصل فعلاً وغادر.

رجل١ : أيشك أحدكم بوجوده.

أصوات : كلا.. لا نشك بوجوده.

(إضاءة على الشهداء)

شهيد١ : اسمعا، خطوة لا بأس بها.

شهيد٢ : هذا هو الشرط الأساسي، اليقين، وهو متوفر.

شهيد٣ : نحن الآن متأكدون من أنهم لن يعودوا ثانية إلى بيوتهم.

(إضاءة على المجتمعين)

الثاني : دعونا نفكر قليلاً، من هو السيد، وأين يمكن أن يكون؟

صوت : أعتقد أنك أنت السيد.

صوت : بل أنت.

صوت : بل أنت.

صوت : بل هذا الذي يخطب فينا.

أصوات : **(بالتداخل)** أنت السيد.. أنت السيد.. أنت السيد..

الأول : أيها السادة.. أيها السادة.. اهدؤوا.. إذا أخذنا محصِّلة ما قيل يكون كل منكم هو السيد.

صوت : ولم لا يكون ذلك صحيحاً؟

صوت : غير صحيح، السيد واحد وليس بمتعدد.

صوت : ولكن المتعدد ينتهي إلى الواحد.

صوت : كالنور عاشق لذاته بذاته.

صوت : سينقلب الأمر إلى جدل صوفي فلسفي.

الثاني : يجب أن نحسم الأمر **(للأول)** هيا تكلم .. أنت أول من وصل إلى هنا.

الأول : أيها السادة، لم يحصل من قبل مثل هذا الاجتماع الكبير، انظروا الحلقة التي تصنعونها اليوم، يمتد قطرها آلاف الكيلومترات، تحملتم عناء كبيراً للوصول إلى هنا، منكم من جاء من بطن المخطوطات، ومنكم من جاء من أصقاع

الأرض، ومن جاء من الزمن القابل، لا نريد أن نضيع الوقت في الثرثرة والتساؤل، إما أن تقبلوا الفرضية السابقة وهي أن كلاً من هو السيد، وإما أن تعودوا إلى انتظار من لا يأتي.

(صمت)

صوت : فليقرأ أحدكم الرسالة من جديد، لعلنا نجد فيها شيئاً هادياً.

الأول : **(يقرأ)** عندما تصل إلى المكان المعين، حيث الشجرة المباركة، سترى السيد هناك، وستدهش عندما تدرك أنك كنت تعرفه جيداً من قبل.

الثالث : من منكم لا يعرف نفسه؟

أصوات : أوه..صحيح، هذا صحيح.. نعم..نعم..هذا صحيح.. السيد في داخلنا ونحن ننتظره.

رجل١ : إذن فلنكتشف أنفسنا، الإنسان قارة مجهولة، ابحثوا عن السيد في دواخلكم، ودعونا نبدأ العمل.

صوت : متى نبدأ العمل؟

الأول : الآن.

أصوات : - فلنضع خطة للعمل.

- خطة واضحة نسير عليها.

- خطة لعمل منتج.

الأول : أجل، يجب أن نضع خطة، وبعد أن اجتزنا: "متى" نريد أن نجتاز "كيف"

أصوات : - هكذا بدون أن نستمع إلى خطبة من رئيس الدائرة السياسية؟

- ومن غير أن نستمع إلى محاضرة من أستاذ التاريخ في الجامعة العالمية حول الأرض والشعوب؟

- ومن غير أن نحدد هل اقتصادنا زراعي أم صناعي؟

- وهل نحن عالميون أم قوميون؟

- شيوعيون أم رأسماليون؟

- سلفيون أم علمانيون؟

- ومن غير أن نقدم احتجاجاً ضد انتشار الأسلحة النووية.

- ومن غير أن نتظاهر ضد التمييز العنصري، والكيل بمكيالين.

- وضد الحرب الأهلية التي أكلت الأخضر واليابس، وهجّرت وشردت المواطنين.

-وضد الحكام الذين لصقوا بالكراسي فعم الفساد ونشروا الجراد.

-وضد فئات دمرت البلاد ونهبت العباد باسم الثورة والثوار.

-دعونا من هذا ولنتحدث عن الحقوق المشروعة وغير المشروعة.

الثاني : أيها السادة.. أيها السادة، خطة العمل تحتاج إلى صمت وتفكير وليس إلى خطب وتظاهرات.

الأول : هذا الذي يدعو إلى خطبة لم يتعرف بعد على السيد. أدعوكم للصمت والتفكير.

(صمت تام، يفكرون)

صوت : وبعد، ألا تريدون أن تبدؤوا العمل؟

الأول : ألا ترى أننا قد بدأنا فعلاً.

(إضاءة على الشهداء)

شهيد٣ : كيف تجد نفسك الآن؟

شهيد١ : أحس ببعض الرضى والسعادة، فأنا لم أقتل عبثاً تماماً.

شهيد٢ : هذا حسن، ولكن رقاص الساعة توقف.

ستار – نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني

(أمام الستار)

المرافق : أنصحك بأن تحذف القصة التالية من كشكولك.

الجوال : ولكنها قصة هامة، المسرحية بدونها ناقصة.

المرافق : ستجلب علينا المتاعب.

الجوال : أليس ما أقوله صحيحاً؟

المرافق : دعنا من الصحيح وغير الصحيح، نريد شيئاً مقبولاً.

الجوال : أنت الذي تقول ذلك؟ أين المبادئ؟

المرافق : أنت تحمل كشكولك فقط، أما أنا فأواجه جمهوراً متنوع المشارب والأفكار.

الجوال : أتريد أن أخدع الناس عن الحقيقة؟

المرافق : وهل وحدك الذي يعرف الحقيقة؟ ثم لا أحد يملك الحقيقة كاملة، كل واحد يأخذ بطرف منها. وإذا كنت عاقلاً فحافظ على رأسك بين كتفيك.

الجوال : كان الشاعر دعبل الخزاعي يحمل رأسه على كفيه ويهجو الخلفاء ولم يجد من يقطعه، وهنالك أيضاً فرق بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية المحدودة، وأنا أريد من قومي أن يعرفوا الحقيقة التي لا يشك بها أحد.

المرافق : العب على الحقائق النسبية إذن.

الجوال : كلا..هذه خيانة.

المرافق : هل أنت مصرٌّ على عرض هذه القصة؟

الجوال : أنا مصرّ.

المرافق : فليكن ذلك على مسؤوليتك.

الجوال : فليكن.

جدول الخطأ والصواب

(لافتة ضوئية بعنوان المشهد)

الشجرة في منتصف المسرح ورجل يراقب الطريق وقد وضع أمامه آلة تفجير، هذا الرجل يمكن أن يكون جندياً أو أحد الثوار)

الشجرة : هيه.أنت أيها الجالس هناك.

الجندي : من يتكلم؟ لا أرى أحداً.

الشجرة : أنا ..هنا.. أنا التي تتكلم معك.

الجندي : لعلني أحلم لا بد أنني غفوت قليلاً.

الشجرة : أنت يقظان.. وأنا أراقبك منذ مدة، أنت لم تنم ولكنك خائف قلق..أنا التي تتكلم معك، لا يوجد في هذه الفلاة غيري.

الجندي : هل تتكلم الأشجار..عجبي!

الشجرة تتكلم الأشجار إذا اهتزت بالنمو.

الجندي : منظر هذه الشجرة ليس بغريب علي.

الشجرة أتنساني بسرعة؟ لقد كنت أحد براعمي.

الجندي : **(يضحك)** أمر مسلٍّ أن أسمع أني كنت يوماً برعماً في شجرة.

الشجرة : أنت لا تصدقني، حاول أن تتذكر، ألم تعرف هذا المكان من قبل؟

الجندي : كأنني أعرفه.

الشجرة : وكنت تنتظر شخصاً ما.

الجندي : أجل تلوح لي الذكرى من خلال ضباب يغمر رأسي.. هل كان اسمه السيد؟ ولكن متى حدث ذلك.

الشجرة : حدث ذلك في عصر سابق، في حياة لك سابقة.

الجندي : آه.. بدأت أفهم

الشجرة : أمر رائع، لقد عادت إليك الذاكرة المهاجرة. **(تخرج الراعية من جوف الشجرة)** الآن ستتعرف علي.. ألا تذكرني؟

الجدي : أعرفك.. أجل أعرفك منذ آلاف السنين، ولكن ماذا تفعلين في جوف الشجرة؟

الراعية : أنا روح هذه الشجرة.

الجندي : كيف أراك وأنت مجرد روح!؟

الراعية : عندما يعبر الإنسان الحائط الزجاجي الفاصل بين الحلم والحقيقة، وبين الحياة والموت، تتمثل له أرواح الأشياء.

الجندي : يا أماه..أنا خائف.

الراعية : لأنك الآن تحمل المسؤولية أمام أرواح الأشياء كلها، وتقوم بمهمة عظيمة.

الجندي : عملي لا يتعدى نسف الدورية الآلية.

الراعية : هل أنت وحدك؟

الجندي : معي آخرون يعملون هنا وهناك. غايتنا واحدة ودروبنا مختلفة.

الراعية : وهذا ما يثير قلقي، كان خطئي.

الجندي : ماذا تعنين؟

الراعية : هذه الشجرة كان يجب أن تقلم لئلا تنتج أغصاناً يسودها الفوضى وبراعم فاسدة.

الجندي : لا تقلقي، هم رفاق، وأعرفهم جيداً. **(صوت هدير آلية)** وصلت الآليات، اقتربي.. اقتربي أيتها الوحوش إلى نهاياتك المحتومة.

الراعية : أعند عائلة؟

الجندي : بنتان صغيرتان وزوجة شابة جميلة.

الراعية : ألا تشعر بالخوف؟

الجندي : وممَّ أخاف؟

الراعية : أن تقتل أو تؤسر.

الجندي : جسدي خلعته منذ زمن طويل، أما الموت فهو وهم أكثر منه حقيقة، الحياة مستمرة قبله وبعده.

الراعية : لا بد للمرء أن يشعر بالخوف من شيء ما.

الجندي : أخاف من أمر واحد هو أن أفشل في مهمتي فأتيح لتلك الوحوش الآلية التقدم وتدمير المدينة، وارتكاب المجازر.

الراعية : أنا فخورة بك.. وفقك الله.

(يضغط على الواصل الكهربائي، انفجار كبير، تندلع النيران. صمت، الساحة تصبح خالية)

(رأس الغول وتابعاه يدخلون)

رأس الغول : جاء من هنا بالتأكيد.

تابع٢ : لو رأيته لجعلت من رأس مزرعة فؤوس.

تابع١ : فاجأنا ونحن على غير استعداد.

رأس الغول : لا أريد أن يتكرر ذلك.

تابع ١ : سيدي، هل تعتقد أن القضاء عليه سيكون سهلاً؟

رأس الغول بل ممتعاً، أنتما ستعملان معه، ستغيران شكليكما، وتصبحان شريكين له.

التابعان : كيف؟ نعمل معه!

رأس الغول : نعم وبهذا نحكم على قضيته ومهمته بالموت، ألم أقل لكما نحتاج إلى تغير خططنا **(صمت)** إبليس دخل في جوف الشجرة وأغوى حواء، إبليس يتغلغل في الإنسان الطيب الساذج فيوجهه كيف يشاء باسم القيم الكبرى. هل الأمر واضح يا أبالستي الصغار.

التابعان : واضح جداً.

رأس الغول : **(يقهقه)** اسجدوا للشيطان الأكبر. **(يسجدان)**

تابع١ : سيدي، وإذا فشلت الخطة؟

:

رأس الغول : نحن لا نعرف الفشل، بقلمي أغير خرائط العالم، بفأسي أخط حدوداً جديدة. أنا نهاية التاريخ.

(إظلام قصير)

(إنارة، هدير طائرة، أشخاص يجلسون فيها، منهم من يقرأ في جريدة، ومنهم نائمون، طفل يرضع، المضيفة تتجول بين الركاب.. الخ)

القائد : **(يسمع صوته)** نطير الآن على ارتفاع عشرة آلاف قدم، متعوا أنفسكم بمنظر البحر تحتكم، سنقدم لكم وجبة الغذاء بعد عشر دقائق، وإلى أن يحين ذلك نترككم مع هذه الموسيقى. **(موسيقى، يبرز من بين الركاب المختطف وتابعه)**

المختطف : **(يشهر مسدسه)** لا يتحرك منكم أحد لا يصيبكم أذى ، الزموا أماكنكم **(يمد رأسه من باب غرفة القيادة مخاطباً الربان)** أعطيناكم المهلة الكافية بالبريد الإلكتروني، اتجه ٢٦ شرقاً **(يخاطب الركاب)** أنا أعلم أنكم أبرياء، ولكن ماذا أفعل؟ أنا أيضاً بريء، عذّبوني واغتالوني، ساديون، قد اضطر إلى نسف الطائرة مكرهاً؛ فأصدقاؤكم لا يريدون تلبية مطالبي، بعد قليل ستصبح الطائرة قطعاً متناثرة، أما أنا فلا أخشى على نفسي شيئاً، فقد مت مرات عدة.

مسافر : هل تعتقد أننا نستطيع أن نشارككم مشاعركم ونحن في هذه الحالة؟

المختطف : إذن متى تشاركوننا أعندما تكونون غارقين في ملذاتكم وأعمالكم؟ يجب أن تضحوا بأرواحكم من أجل قضيتنا العادلة.

مسافر : ولكننا مجرد مسافرين، عائلاتنا تنتظرنا الآن في المطار.. ونحن..نحن أفراد..مجرد أفراد.. لا نعرفكم من قبل ولم نؤذكم.

المختطف : أنتم لا تعرفوننا ..تلك هي جريمتكم، نحن وإياكم من فصيلة واحدة نعيش في غابة يلاحقنا فيها صياد دموي **(طفلة تبكي)** كفي عن البكاء أيتها الصغيرة.

الطفلة : لماذا أموت؟ أنا لا قرأ الصحف، ولا أسمع نشرات الأخبار، أتفرج فقط على أفلام الكرتون، لا أريد أن أموت.لا أريد.

المختطف : عندي بنت صغيرة، مثلك تماماً، شعرها أسود، عيناها نرجستان، فمها برعم وليد، ماتت السنة الماضية وهي تقول لي: بابا لا أريد أن أموت، كانت الريح تصفر في الخارج، والبرد يعسكر أمام الأبواب وينسل إلى فراشها، وهي تبصق

نجوماً حمراً وتدفن وجهها في صدري، كانت لا تريد أن تموت، ولكها ماتت..ماتت.. هل سمعت **(يخاطب الربان)** الساعة تقترب من الواحدة، إذا لم تصلك الموافقة على طلباتنا سأفجر الطائرة **(المسافرون يتصايحون)**

أصوات : لا نريد أن نموت. . أنقذونا.. هذه جريمة..حرام عليكم **(الفتاة تنتحب)**

القائد : **(يسمع صوته)** أرجو من الركاب التزام الهدوء، سنعالج الموقف.

المضيفة : أرجوكم الزموا أماكنكم، الموقف صعب لكننا سنعالجه وننجو جميعاً، اطمئنوا.

طفل : لماذا يصرخون هكذا؟ هل سنموت يا ماما؟

الأم : ولماذا تموت؟ أنت لم تفعل شيئاً، أين حصانك؟ **(تعطيه الحصان)** هيا العب به.

(صوت ساعة تدق الواحدة ويتلوها صدى قوي)

المختطف : لقد دقت الواحدة.. الله أكبر.

(صوت انفجار قوي، نيران مشتعلة، الطائرة تتناثر في الفضاء والركاب يختفون. إظلام قصير).

. . .

(اثنان من الثوار، الأول ينشر أمامه خارطة ويشير إلى نقطة معينة ومعه علم أزرق، والثاني من الطرف الآخر ومعه علم أحمر)

الأول : **(مخاطباً مجموعة غير مرئية)** مهمتنا قصف المعهد ومركز البحوث العلمية هذه العلوم غير شرعية وتقود إلى الضلال والعياذ بالله.

الثاني : **(مخاطباً مجموعة غير مرئية)** مهمتنا تفجير المصنع والقطار القادم من العاصمة، نعلم أنه قطار ركاب ولكن لا بد من التضحية.

الأول : **(للثاني)** ماذا تفعل؟

الثاني : ماذا تفعل؟

الأول : أنفذ المهمة.

الثاني : أنفذ المهمة.

الأول : مهمتك لاغية، اتبعني فأنا الأصل والشرع.

الثاني : مهمتك أنت هي اللاغية، اتبعني فأنا الأصل والشرع.

الأول : أنذرك، سأنفذ مهمتي وأرفع علمي هناك.

الثاني : أنذرك سأنفذ مهمتي وارفع علمي هناك.

الأول : لون علمك لا يعجبني.

الثاني : وأنت ، لون علمك لا يعجبني.

الراعية : **(تدخل وتسقي الشجرة)** لماذا تختصمان ومساركما خاطئ؟ كنتما برعمين على هذه الشجرة، سقيتكما بيديّ، تعرضت من أجلكما للتعذيب والمحاكمة، وأصررت على البقاء من أجل البراعم لا تختصما ، وصححا المسار، هل فقدتما البوصلة؟ ستدمركما هذه الخلافات.

الأول : إنه ولد عاق، من أجلك أنت لن أمكنه من الوصول إلى هدفه **(يصوب بندقيته نحو الثاني)**

الثاني : بل هو العاق، من أجلك أنت لن أمكنه من رفع علمه الملطخ **(يصوب بندقيته نحو الأول)**

الراعية : كل يتحدث باسمي ولا أحد يعمل من أجلي، أنا لا أنجب أولاداً عاقين. كفا عن القتل، أحذركما من لعنة هابيل، أحذركما من لعنة هابيل..

(صوت إطلاق النار ويسقطان على الأرض)

أَكُتِب عليّ أن أشهد موت أولادي وقد رأيتهم شباباً؟

(يدخل رأس الغول وتابعاه، يرفع التابع الأول يد القتيل ثم يتركها تسقط على الأرض، يفحص العينين، الثاني يفحص القتيل الثاني)

تابع١ : لقد مات.

تابع ٢ : مات أيضا.

رأس الغول : أحسنتما صنعاً يا أبالستي الصغار **(يخاطب الراعية)** أيتها الراعية، لماذا لا تذهبين؟ أبناؤك يموتون الواحد تلو الآخر.

الراعية : ليس لك أن تشمت وتفتخر، إنها لم يموتا بيدك.

رأس الغول : هراء، قد يصح هذا على الثاني الذي قتل برصاص الأول، ولكن ماذا تقولين في هذا والثاني لم يطلق عليه الرصاص.

الراعية : إذا اختصم الأخوان فالرصاصة التي يستعملها أي منهما تقتل الاثنين: القاتل والمقتول معاً.

رأس الغول : **(يضحك)** وسيستمر ذلك..تلك هي شريعتي وقانوني، أنا سيد العالم.

الراعية : من يضحك أخيراً يضحك كثيراً.

تابع٢ : سيدي، هل أقطع رأسها؟

رأس الغول : كما قطعته في المرة السابقة!؟ اتركاها لأحزانها، سيقتلها الوباء الأصفر **(أبو الرؤوس وتابعاه يخرجان، الراعية تقترب من القتيلين)** انهضا يا ولديَّ..انهضا **(ينهضان ببطء وتثاقل)** إذا جاء الليل فإنكما لن تنهضا أبداً.

الاثنان : ألم نمت يا أماه؟

الراعية : دعكما من حكاية الموت هذه.

الاثنان : رأسنا ثقيل..ثقيل جداً.

الراعية : لقد قمتما بعمل خاطئ، تضلون وتخطئون، فيضل أناس بأخطائكم وضلالكم ويهلكون، ثم تعتذرون عن الخطأ بعد فوات الأوان.

الاثنان : آذاننا مشوشة، فيها وقر، نحن لا نسمع شيئاَ.

الراعية : ستبدآن حياتيكما برعمين على هذه الشجرة يبحثان عن النور.

الاثنان : عيوننا مطفأة..نحن لا نرى شيئاً.

الراعية : **(تدفعها)** اذهبا..اذهبا.

الاثنان : نريد أن ننفذ مهمتنا نريد أن نناضل.

الراعية : اذهبا..لم تبلغا سن الإدراك بعد، عليكما أن تنتظرا.

الاثنان : إلى متى ننتظر يا أماه؟

الراعية : إلى أن تكتشفا الفردوس المفقود فيكما. إنها مسيرة طويلة، ستولدان مرات عدة قبل أن تصلا.

(يخرجان، الراعية تتابع سقاية الشجرة).

(إظلام)

تعقيب

(الجوال والمرافق في مقدمة المسرح)

الجوال : لم تكن أميناً هذ المرة.

المرافق : وكيف؟

الجوال : حذفت مشهداً من القصة.

المرافق : أجل فعلت ذلك.

الجوال : من غير أن ترجع إليّ **(المرافق صامت يهز رأسه)** أنت مصاب بغطرسة المخرجين الذين يسمحون لأنفسهم بتشويه العمل بالحذف والزيادة والتفسير الخاطئ.

المرافق : مهلاً، لم أجد من المناسب عرض هذا المشهد، إنه قاس جداً.

الجوال : ولكنه حقيقة.

المرافق : عدنا إلى النغمة ذاتها.

الجوال : اثنان يذبحان رجلاً من أهل بلدهما أمام زوجته وأولاده، ويقول أحدهما للآخر وجهه نحو القبلة ليكون الذبح شرعياً..ألم يحدث هذا؟ هل أسوق لك أمثلة أكثر وحشية.

المرافق : ولماذا أنت مغرم بأخذ شرائح مقرفة من الحياة، عصر المسرح الطبيعي ولّى.

الجوال : لقد عشت هذه المشاهد.

المرافق : كلنا عشناها.. على كل دعنا من هذا، أنا

أعاتبك في قولك: إننا نشوه النص بالتفسير الخاطئ، دعنا نناقش المشاهد السابقة.

الجوال : أنت لم تجسد فيها فكرتي.

المرافق وما هي فكرتك؟

الجوال : الإنذار بكارثة، ألم يقل الرسول (ص): ويل للعرب من شر قد اقترب؟ وما يحدث اليوم هو أحد الشرور.

المرافق : مع احترامي لك كمؤلف، أنا لا أرى فيها أي إنذار بكارثة، هذا إرهاص بميلاد عصر من القوة.

الجوال : وي.. يريد أن يفسر لي نصي بما هو غريب عن فكري.

المرافق : عليك أن تكتب، وعلينا أن نفسر.

الجوال : **(منزعجاً)** هكذا؟

المرافق : نعم..هكذا.

الجوال : لماذا جعلت الراوية تؤدي عبارة "لقد قمتما بعمل خاطئ" في حنان زائد؟ كنت أريد بهذه العبارة أن أتهم بقوة.

المرافق : من قواعد التربية ألاّ توبخ طفلك بعنف وإلاّ ازداد انحرافاً.

الجوال : كنت أريد أن أقول: إنها ولادة من اليأس.

المرافق : وأنا رأيتها ولادة من القوة.

الجوال : هل تعتقد أن مثل هذا المولود الضعيف يمكن أن يعيش طويلاً؟ أنا أشك في ذلك.

المرافق : هذا المولود سيعيش طويلاً بالتأكيد؛ النسل يتحسن بالولادات المتتابعة حسب قانون الاصطفاء.

الجوال : حتى الآن شهدنا ولادات متتابعة وكلها تنتهي بالأسوأ. العالم يتفكك، والنفوس تتآكل بالفتن.

المرافق : أنت متشائم.

الجوال : وأنت صبي يلعب وسط العاصفة.

المرافق : **(مازحا)** يجب أن نرفع القبعة لهذا الصبي الذي لا يعبأ بالخطر.

الجوال : مهما يكن..أريد حكماً عادلاً على العمل.

المرافق : عملي أم عملك؟

الجوال : بل عملهم.. شخصياتي هي التي تكتب حوارها بنفسها، أنا لا أكتب، أنا أنكتب بالعمل.

المرافق : إذن..دع الحكم النهائي للجمهور.

(إظلام)

عودة الخمرة المهاجرة

(رجل وضمادات تلف أنحاء من جسمه، يجلس مستنداً إلى صخرة في تعب، يسمع أصواتاً من جهات متعددة)

صوت : وعدت أخيراً؟

صوت : لماذا لم تدفن هناك؟

صوت : أية أرض ستستقبلك؟

أصوات : من أنت؟.. أين تذهب؟..متى تعقل؟..لماذا عدت؟

(صفير الريح، صمت)

صوت : لا شيء.

صوت : انزع هذه الضمادات، لن تثير شفقة أحد.

صوت : أظنه خائناً.

صوت : لا أعتقد. ألا ترى جراحه؟

صوت : تمثيل..تمثيل.

صوت : إذن،هو جبان.

صوت : كلا.. ليس جباناً.

صوت : عائد بكل هذه الدماء في ظهره وليس جباناً!؟

صوت : إنه لا يعرف أنه شجاع فحسب.

أصوات : **(متتالية)** هانيبعل.. هانيبعل.. هانيبعل عائد إلى صور بوجه كسيف وقوس محطمة.

(الرجل ينهض متثاقلاً وينفض الغبار عن ثيابه)

صوت : **(ساخراً)** انظر، سيف الدولة ينفض غبار المعارك عن ثيابه ليصنع منه صخرة توضع تحت رأسه في القبر.

صوت : إنه عائد إلى أمه.

صوت : أمك ن تستقبلك، لم يعد في ثدييها لبن.

أصوات **(متداخلة)** عد..عد..عد من حيث أتيت.

صوت دعونا نسمع روايته.

صوت : كان خطيباً مفوهاً، ثم فقد النطق.

صوت : من أنتم حتى تحاكموه وتسخروا منه؟ دعوه يأت، وجودنا ووجوده واحد.

صوت : كلا.. فليرحل.. جف اللبن وتحطّب ثدي الأم.

الشجرة : تعال يا بني **(صمت، يبحث عن مصدر الصوت)** تعال.. تعال **(يبدأ الصوت من الشجرة ثم يصبح من جميع الجهات. يتلفت باحثاً، الراعية تخرج من الشجرة).**

الراعية : أنت تشعر بالعزلة **(الرجل صامت)** تحس بالقهر والانسحاق والهزيمة **(يشعر بالتلاشي والمرارة)** تجد نفسك فجأة في قفص الاتهام فتقول ربما أكون مخطئاً ولكنني لست مذنباً **(يتحسس جدران سجن وهمي)** لماذا لا تتكلم وتدافع عن نفسك؟ **(يتحيّر)** هل تريد أن تؤكد بأنهم على حق؟ **(يشير بالرفض)** تكلمت من قبل كثيراً وزرعت خطبك وأقوالك على جميع الشفاه وفي كل الآذان، وتصمت الآن لأنك لا تستطيع الدفاع عن نفسك بالقوة التي كنت تتكلم فيها من قبل.. كان صوتك يهز أعمدة البيت **(يستعيد بعض الثقة ويبتسم)** يا بني أحسنت إذ عدت، عودتك إليَّ تعني الكثير، إن ثدي الأم لا يهرم ولا يتحطب، ولبنها لا يجف أبداً **(يقترب منها)** أنت لم تعد إليَّ لتبكي على صدري، فات زمن البكاء وعودتك إليَّ برهان **(ينهض بتثاقل،، يحاول السير، يتهاوى على الأرض. الراعية تتفحص ركبتيه)** لست عاجزاً.. ولكن كيف أعيد إليك الثقة بنفسك؟ **(تدور حول الشجرة)** يجب أن تعود إلك الثقة

بنفسك **(تدور مرة أخرى)** الأمر بسيط، مرضك نفسي، جسمك سليم تماماً. أنت تتوهم أنك جريح، ظللت طول حياتك وأنت مدعي معرفة **(ينظر في عتب)** سأعرض أمامك صورتين فتطلع جيداً وقارن بينهما. هذه هي الصورة الأولى.

(يعرض خيال ظل لأسرة مهاجرة نازحة مؤلفة من أب وطفل وأم يحملون أغراضاً)

هذه أسرة تعرفها جيداً، إنها ما تزال تسير في الجبال والوديان والسهول، في الغرف الحقيرة، وعلى بوابات المدن الكبرى.

والآن إلى الصورة الثانية:

(خيال ظل لرجل مهلهل، على وجهه قناع، يجر نفسه حاملاً أغراضاً، يسير وتلحقه زوجته ولباسها فاضح)

هل تجد تشابهاً بين الصورتين ؟ **(يشير بالإيجاب)** أجل إنهما متشابهتان في الضعف، ولكن هنالك فرق أساسي: الأول يحمل آلامه، والثاني يحمل أحقاده

(الرجل في الصورة الثانية يخلع القناع فيظهر

رأس الغول برؤوسه الثلاثة وبكل عنجهيته وشرانيته)

صوت : **(يتبعه صدى)** أيجب على المرء أن يحمل أحقاده ليكون قوياً؟

الراعية : لم أقصد ذلك، ولكن عندما ينطلق المرء من آلامه سيكون الأقوى **(انتهاء خيال الظل)** انهض يا بني، تستطيع الآن أن تنهض **(ينهض)** انطلق من آلامك وتجربتك وهزائمك، وتابع الطريق الطويلة، وإياك أن تحقد، تكن الأقوى.

(ينزع الرجل الضمادات فيبدو سليماً، يتابع الطريق، ويخرج)

(إظلام)

قضية معقدة

(التابعان ينشران الشجرة، ورأس الغول يقرأ في كتاب، رؤوس الغول الثلاثة تتكلم)

الأسود : فلتقطعوا الشجر
ولتحرقوا الحقول
سأحبس المطر
وأزرع العويل

الأحمر : قضية معقدة **(تلمع العين اليمنى)**

والأبيض درستها معقدة **(تلمع اليسرى)**

معقدة..معقدة

ونحن ملزمون بالعهود

وبالمساعدات والوعود

وبالوفاق والسلام والبنود

الأصفر : ما حيلتي وقد سرى الجفاف

وأضحت العروق ملعب الغبار

وفي دماغي عقرب يدب بالسموم

وألف أفعى تنشر الشكوك والفزع؟

فلتهربوا إن قصفت رعود

وغيمت/وضبضبت/ وأقبل العفريت نهّال الدماء

فلتهربوا.. فلتهربوا.. حلت عليكم لعنة الدماء.

التابعان : **(ينشدان)** انشر.. انشر

لحن الموت

واقطع كل الأشجار القدسية

الأبيض : **(بالتتالي)** يا للعار..يا للعار

والأحمر لا تؤمن بالأشياء القدسية

وعلى الحائط فابك الهيكل

حتى تتصدع للصوت الصخرة.

التابعان : العالم جثة كلب متفسخ
فلتنشر كل الأثداء
ولتحرق أطفال العالم
تذرو برمادهمُ في هاديس(*)
كي لا تسمع غير هدير الماء
وتموت الأنات.
الأصفر : أخشى..
الأبيض : لا تخش ولا تقلق
والأحمر أشياء مرسومة
لن تندلع الحرب الكبرى
لن ترقص في حفل الليلة هيروشيما
قد يهلك فوق الأرصفة الصفراء جياع
وتعيش على اللحم الإنساني ضباع
لكن ما بين السادة عهد ووفاق.
التابعان : انشر.. انشر
لحن الموت
من بعد الفوضى الخلّاقةِ
لا بد وأن نبني العالم.

(*) في الأساطير الإغريقية هاديس العالم السفلي، وثمة نهر تبحر فيه المراكب بأرواح الموتى إلى الجحيم «هاديس».

الأسود : لن يبقى في الكون أحد.

التابعان : نحن العالم.
نحن الأحمر والأبيض والأسود.

الأسود : نحن الأسْوَد.

التابعان : كل الأشجار ستقطع، تحرق، تلقى في هاديس.
ويموت الحب

الأسود : ويعيش الحقد الأسود
(التابعان يمسحان عرقهما تعبين)

تابع ١ : هذه الشجرة لن تنشر أبداً

رأس الغول : هل سقيت المنشار بالماء؟

تابع ١ : نعم سقيته.

رأس الغول : وقرأت سفر الخروج؟

تابع ١ : لا .. لم أقرأ.

رأس الغول : عليك أن تقرأه باستمرار لتكون أمورك ميسرة **(يقرأ متنغماً)** لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها، ولا تعمل كأعمالهم، تبيدهم وتكسر أنصابهم **(صمت يستمران في النشر)** أرسل هيبتي أمامك، وأزعج جميع الشعوب التي تأتي عليهم، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين **(صمت،**

واستمرار النشر) قليلاً قليلاً اطردهم أمامك إلى أن تملك الأرض، واجعل تخومك من بحر سوف إلى فلسطين، ومن البرية إلى نهر الفرات، فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم أمامك.

الراعية : **(تدخل)** ماذا تفعلون هنا؟

التابعان : ننشر الأشجار لنتدفأ، نحن حطابون مساكين.

رأس الغول : ونقرأ في كتاب مقدس.

التابعان : أرأيت.. نحن قديسون.

الراعية : اذهبوا أيها القديسون، احتطبوا وتدفؤوا في مكان آخر.

تابع١ : البرد في الخارج شديد.

تابع٢ : هذه أدفأ بلاد نجيء إليها. **(يتابعان النشر)**

الراعية : كفا عن النشر سيسمع أولادي صوت المنشار فيستيقظون.

رأس الغول : أولادك..هه.. صم بكم، لا يسمعون ولا يبصرون.

الراعية : لن تستطيعوا قطع هذه الشجرة.

رأس الغول : لا أنكر أن قطعها صعب، لكنه غير مستحيل.

الراعية : حاول قطعها كثيرون قبلك.
الأول أنت تعرفه جيداً
(يعبر المسرح مقاتل قديم أسمر، يجر بسلسلة طويلة أسيراً) هكذا كانت نهايته الأسر والنفي.

الأسير : ماء..جرعة ماء.. أنا عطشان.

المقاتل : أسرع أيتها الحثالة، ما زالت الطريق إلى بابل طويلة.

الأسير : لم أتعود السير في الصحراء، أعطني جرعة ماء.

المقاتل : كان النهر المقدس إلى جانبك، وكنت تدنس فيه ولا تشرب منه، واليوم يقتلك العطش.

الأسير : ماء..ماء..جرعة ماء **(يخرجان)**

الراعية : وهكذا وارته الصحراء يرجمه العطش.
والثاني جاء من خلف البحر ومعه ملوك آخرون ليعيثوا في الأرض قتلاً وتدميراً ولكن مصيره كان أسوأ.
(يعبر المسرح ملك مقيد يقوده سجان أسود، وأمامهم السلطان)

السجان : لولا أن الملوك لا تقتل لضربت عنقك.

السلطان : خلِّ عليه رأسه يا صبيح، هنالك ما هو أسوأ من القتل.

السجان : وما هو أسوأ من القتل أيها السلطان؟

السلطان : أسوأ من القتل أن تضطر أمة إلى أن تشتري مليكها الأسير كبضاعة فاسدة. **(يخرجون)**

الراعية : واصطدم همجي جاء من الشرق بهذه الشجرة فتحطم عموده الفقري، ومضى الجميع كحلم ثقيل.

ثم جاء ظلام يلف الكون، والنعاس في العيون وجبة دسمة، ومن وراء البحر أقبل المغامرون وفي أيديهم المسدسات.

(يدخل رجلان يلعبان بأربع مسدسات)

الأول : نحن أصدقاء، وأخي هذا صديق، وملككم تربطني به صداقة شخصية.

الثاني : نعم.. أنا صديق ولكنني عصبي المزاج أحياناً.

الأول : بيني وبين ملككم مراسلات ومكالمات وفنجان قهوة. يجب أن تثقوا بي. انظروا أنا مثلكم تماماً، ومهمتي هي مساعدتكم وحمايتكم. وعندما تصبحون قادرين على حماية أنفسكم تنتهي مهمتي.

الثاني : في الحقيقة أنتم متخلفون جداً..جداً، وقد جئنا لنجعلكم قوماً متمدنين جداً..جداً.

الأول : ولتحضيركم لا بد من استصلاح هذه الأرض. سنقطع هذه الشجرة، وكل الأشجار التي تشمخ نحو السماء، ونزرع بدلاً منها البقول.. مساكب بقول تمتد حتى الأفق.

(يمسكان المنشار لقطع الشجرة فتندلع أصوات الرصاص من كل مكان)

الثاني : هيا يا صديق، أصبحت الحياة هنا جحيماً لا يطاق هؤلاء قوم متوحشون **(يخرجان بصورة هزلية، الراعية تختفي)**

رأس الغول : أين تلك المرأة؟

تابع٢ : هربت.

تابع١ : تأتي كالطيف وتذهب كالطيف.

رأس الغول : أريد أن أعرف سر هذه الشجرة **(إلى تابع١)** ادخل أنت إلى جوفها، سر داخل الجذور حتى تصل إلى أبعد جذر مغموس في التربة **(تابع ١ يدخل جوف الشجرة)**

تابع٢ : **(ساخراً)** سفرة سعيدة، كن حذراً، أعتقد أن هذه الشجرة محشوة بالأفاعي.

رأس الغول : أين أنت الآن؟

تابع ١ : **(صوته)** أنا الآن في الجذر الأعلى.

رأس الغول : حدثني، ماذا ترى؟

تابع ١ : **(يرافق حديثه مؤثرات صوتية مناسبة)** أرى أشياء يصعب حصرها، سلاسل من الجبال، صحارى، معارك، بحار تشتعل، آبار من النفط تسيل وتندلع فيها النيران وتحرق أرض الحضارات والأنبياء، المغول يعودون من جديد ومن الشمال ينهلون الدماء ويأكلون جثث القتلى.. رصاص في كل مكان.. رصاص.. رصاص.. دعني أعد، أخشى أن تصيبني رصاصة طائشة.

رأس الغول : لن تصاب بشيء أيها الأحمق، أنت فكرة، تابع الوصف.

تابع١ : الجو غائم الآن، الأمطار تسقط بغزارة، سيول مدمرة تحطم السدود وترمي بالصخور من أعالي الجبال. يا سيدي ثيابي أصبحت مبتلة، ورجلاي تغوصان في الطين، دعني أعد.

رأس الغول : وهل تظن نفسك حراً، أنا أسيِّرك بهذا الجهاز **(مشيراً إلى الكتاب في يده)** انحدر وحدد مكانك.

تابع١ : أنا الآن في الجذر الأوسط، الشمس مشرقة،

الأضواء تغمر السهول والتلال، نجوم في السماء تتلألأ في الظهيرة ثم تترك مكانها وتنزل إلى الأرض لتسير بين الناس ثم تعود . قصور ضخمة، مكاتب ومخططات، دواوين وسجلات، علماء يجرون تجارب في أوان زجاجية لا أفهم منها شيئاً. هناك جلسة طرب وراقصة ترقص، دعني أستمتع قليلاً **(صدى غناء)**

رأس الغول : تابع الرحلة وانتقل إلى الجذر الأعمق **(صوت الغناء والموسيقى يتلاشى)**

تابع١ : أنا الآن في أعماق التربة، لا شيء غير الخامات الأولية، الناس هنا تشف أجسادهم عن أرواحهم، وكل منهم يحمل كتاباً منيراً يقرأ فيه.. شيء رائع..رائع.. لا أستطيع وصفه، أرواح هؤلاء الناس ذرات متألقة كشمس الصباح لها طبيعة مادية، ذرات ملونة متآلفة تدور في نظام عجيب فتشكل هذه الأرواح.

رأس الغول : ما هذه الألوان؟

تابع : من الصعب تحديدها، أعتقد أنها دلالات وصفات.

رأس الغول : ألا تجد ذرات بألوان قاتمة رصاصية؟

تابع١ : كلا.. جميعها ذرات متألقة ألوانه زاهية.

رأس الغول : عد.. انتهت رحلتك. **(يخرج، ويسود الصمت)**

تابع٢ : سيدي، هل نتابع نشر الشجرة.

رأس الغول : أعتقد أنه من المستحيل أن نجتث هذه الشجرة، يجب أن نهدم عالماً بأكمله.

(إظلام)

حوار في الفوضى والالتزام

(الجوال والمرافق في مقدمة المسرح)

المرافق : في أي فصل نحن؟

الجوال : الربيع.

المرافق : وفي أي شهر؟

الجوال : نيسان، في الربيع تتجدد الآمال، وفي نيسان تبدأ السنة لدى كثير من الشعوب.

المرافق : دعنا من هذا. هل أنت كاتب ملتزم؟

الجوال : كل منا لا بد أن يكون ملتزماً بشكل ما.

المرافق : تقصد أنك غير ملزم بالمفهوم السائد للالتزام، هل أنت تدعو إلى الفوضى؟

الجوال : بل إلى الحرية، باسم الالتزام فقد الناس اليوم حريتهم، وفرضت عليهم العبودية الفكرية.

المرافق : وما الصحيح في تحديد هذا المفهوم؟

الجوال : لاشيء متفق عليه، ولا بد أن يكون هنالك تضاد، وهذا ضروري للحياة، يقول الفلاسفة القدماء : لولا التضاد لفسد الكون.

المرافق : باختصار، ما هو رأيك أنت باعتبارك كاتباً جوّالاً؟

الجوال : الكاتب إذا لم تكن له رؤية خاصة شاملة للأشياء والأحداث والعلاقات فكشكوله فارغ مهما كتب.

المرافق : اخفض صوتك، أريد أن أنام الليلة في بيتي.

الجوال : نحن محاصرون، كلما فتح إنسان فمه بزاوية أصغر أو أكبر مما رُسم له ظنوا أنه سيقذف بشتيمة، كتب على المواطن أن يكون متهماً.

المرافق : ما الذي تريده من كل هذا؟

الجوال : أرفض أن يكون الإنسان نسخة مصورة، أريده جوهراً، نسخة أصلية غير قابلة للنسخ.

المرافق : وهل تعتقد أنك تخترع العجلة، وأن حكاياتك نسخة أصلية خالية من التقليد؟ المعارف الإنسانية تكتمل ببعضها.

الجوال : ربما في الجزئيات، أما ككل فلا.

المرافق : يجب أن تشكرني لأنني لمعت كثيراً من جوانب التقليد في حكاياتك حتى بدت حديثة، كما أنني أعتقد بأنني عرضت ما في كشكولك للناس بأمانة.

الجوال : أنا أعرَف بما أملك، وأنت لم تنقل إلا نفسك، فقد حشوت في منظارك الأفكار والأحداث التي بقيت شهوراً أرتبها وأجمعها لتقدمها من خلال منظارك أنت.

المرافق : وهل تعتقد أن الجمهور سيتلقى ما عرضت عليه بمنظاري؟ كلا فله منظاره الخاص، كل عمل عبث إن كنت تظن أنه سيظل محافظاً على كينونته وتفاصيل وجوده، الحياة والأفكار والفنون في حركة دائبة متحولة.

الجوال : صدقت، الوجود كله عبث، كوميديا مؤلمة، مسرحيتنا هذه، وجمهورنا، وأنا وأنت، عبث.

المرافق : وما الذي بقي في هذا الكشكول.

الجوال : حكاية واحدة.

المرافق : وبها تكتمل المسرحية، ومن الناحية الفنية هناك بداية فمشاهد تتفجر بالأحداث فنهاية.

الجوال : أرأيت؟ أنت مخطئ، بالنسبة لي الحكاية الأخيرة

لا تصلح خاتمة للمسرحية، وبصراحة: المسرحية مقصوصة من الأول ومن الأخير، كان يجب أن تعرف هذا من الشمس التي لم تتحرك في دورتها الكاملة غير بضعة سنتمترات. الكامل يا صديقي هو الدائرة، ولكن أين هي المسرحية الدائرة؟

المرافق : أنت تضيعني.

الجوال : أردت فحسب أن أبرهن لك أن ما يحدث هنا مجرد سخرية صغيرة، إن ما في هذا الكشكول حينما يصل إلى الجمهور خلال مسيرة معقدة يكون قد طرأت عليه تطورات كثيرة، والتطور الأكبر حين يتناول كل فرد فواكه الكشكول فيطعمها بذائقته الخاصة، وتلك هي السخرية أو العبث الذي تحدثنا عنه.

المرافق : دعنا من الجدل، أخشى أن نتحول أنا وأنت إلى شخصيتين في هذا العمل، ودعنا ننه هذه المسرحية. **(يخرجان)**.

(إظلام)

عودة جابي الضرائب

(الشهداء الثلاثة)

شهيد١ : أتمنى أن أرجع أقتل.. أقتل عشرات المرات.

شهيد٢ : لماذا؟

شهيد١ : هنا ينسى المرء جوعه القديم، لا جوع في هذا الفضاء، وهنا يجد المرء التكريم.

شهيد٢ : أنت لم تصل بعد إلى الفناء والمعرفة الكلية، مازالت فيك عناصر ترابية، ولم تتخلص بعد من الدوران حول ذاتك.

(يدخل شهيد٣)

شهيد٣ : أشياء غريبة تحدث في عالم الأحياء

شهيد٢ : ماذا يحدث هناك؟

شهيد٣ : الوجوه مكفهرة، الخريف يسرع في المجيء قبل أوانه، صمت مريب وتحركات تنذر بهبوب عاصفة شديدة، كلاب فولاذية تنبح وتزحف في الطرقات.

شهيد٢ : هل تعتقد أن قادمين جدداً سيصلون؟

شهيد٣ : أشم رائحتهم.

(تدخل الراعية)

شهيد٢ : أتشمين شيئاً؟

الراعية : للدماء والأرواح رائحة لا تفارق أنفي.

شهيد٢ : لكن رقاص الساعة لا يتحرك **(يحركه لينوس)**.

شهيد١ : ربما يتحرك حركة خفيفة.

الراعية : هناك يعتقدون أن الساعة تعمل دائماً

شهيد٢ : مجرد وهم.

شهيد٣ : كلا..بل نسوا وجود الساعة تماماً.

شهيد٢ : كنا هناك نحتقر الساعة، الزمن لا قيمة له، ونحتقر الزمن الرجعي.

شهيد٣ : الزمن ساعة رأسها مقطوع، كنا نسابق الزمن، وهم اليوم يحششون فوق الزمن.

شهيد٢ : الزمن عندهم قمامة تكنس وتجمع في زوايا الأزقة.

شهيد ٢ : **(يفتح الساعة)** عالم عجيب.

شهيد١ : هل أنت ساعاتي؟

شهيد٢ : لم أر في حياتي ساعة كهذه.

الراعية : افعل شيئاً ليعود الرقاص إلى النوسان.

شهيد٢ : ماذا نفعل ونحن أموات؟

شهيد٣ : أموات!

شهيد١ : يبدو أنني لم أتعود على الموت، ما زلت أحس بأنني نائم وسأستيقظ بعد قليل.

شهيد٢ : والنيام أيضاً لا يفعلون شيئاً.

الراعية : النيام يتنفسون، يحلمون، عقولهم تنوس وتعمل، ثم يستيقظون، وهذا جيد.

الشهداء : والأموات؟

الراعية : الأموات يتحررون، أرواحهم تنحل كالسكر في الأحياء، تستطيع أن تحرر الساعة.

شهيد٢ : يعجبني تفاؤلك، الآمال عندكِ لا تذبل.، ماذا تريدين منا أن نفعل؟

الراعية : حرر هذه الساعة، يجب أن يتحرر الزمن وينوس.

شهيد٢ : لكن الساعة عالم مجهول.

الراعية : اكتشفها ونظفها.

(شهيد٢ يمد يده داخل الساعة ويخرج أشياء منها ويرميها على الأرض)

شهيد٢ : منشورات، خطب، مسدسات، صور راقصات التعري، أقراص مرنة **(يخرج حذاء عسكرياً)** حذاء عسكري.

الراعية : هو الذي خرَّب هذه الساعة **(الرقاص ينوس ويسمع صوتها)**

الساعة : تك..تك..تك..تك

الراعية : الساعة الآن تعمل.

الشهداء : تك..تك ما أحلى هذا الصوت!

شهيد١ : قتلت ولم أسمع مثل هذا الصوت..تك..تك

(يقترب الثالث من الساعة فتصوت نغم ساعة بيانو)

شهيد٣ : هذا الصوت أعرفه جيداً، كان يسكرني.

(يقترب الثاني من الساعة فتصوت نغم ساعة بعصفور)

شهيد٢ : كان هذا لحن أغنيتنا في الجبال.

(يقترب الأول منها فتتباطأ سرعتها وتضطرب آلاتها وتكاد تتوقف، ثم يقترب أكثر فتدق دقات غاضبة مخيفة)

شهيد٢ : ابتعد عنها، إنها غاضبة، وتتألم.

شهيد١ : لماذا تتألم وتغضب مني؟

شهيد٢ : لوجودك معنا.

(يبتعد فتعود الساعة إلى العمل)

الراعية : بدأت العقارب تزحف.

شهيد٣ : عاد الزمن يسير.

شهيد٢ : متى تدق الصفر؟

الراعية : المهم هو أن تتحرك ويجري الزمن.

شهيد١ : أنا خجل، لم أخض مثل هذه التجربة من قبل.

(تدق الساعة فجأة ثلاث دقات هائلة مبهمة ذات صدى، الشمس تبدأ بالارتفاع قليلاً)

الراعية : إنها تدق الصفر، كل شيء يتحرك.

شهيد٣ : يتحرك بسرعة.

الساعة : تك..تك..تك..تك **(دقات متسارعة)**

شهيد٣ : أيتها الساعة العظيمة، أسرعي وهاتي الساعة الأولى.

شهيد١ : ما أسعد أولئك الأحياء الذين سمعوا دقاتها صافية قوية تجلجل في الوديان **(بحزن)** هكذا أراد القدر أن اسمع الصدى فقط.

الراعية : لماذا أنت حزين؟ اليوم لا يحزن أحد.

شهيد : هرقت دمي من أجل ثوان قليلة في مسيرة عقرب كسول، لو كان هنالك سبيل إلى العودة.

شهيد٣ : لتقتل ثانية؟

شهيد١ : بل لأحمل قضية عادلة، ولا يهمني بعدها إن مت أو عشت. **(إظلام)**

. . .

(إضاءة، مقاتلان ١-٢ يحملان سلاحاً ضد الدرع)

الأول : الدبابة تقترب، احم ظهري.

الثاني : لا.. فلتبق أنت، سأذهب أنا، أنت متزوج وما زلت في شهر العسل.

الأول : كونك عزباً وكوني متزوجاً لا يعفيني من المهمة.

الثاني : دع الجدل، الدبابة تقترب، **(يتقدم)** هذه الرسالة أرسلها بالبريد إن قتلت **(يخرج)**

الراعية : **(وهي تراقب المشهد من خلال إضاءة خاصة)** بم تفكر يا بني؟

الأول : أفكر بزوجتي الشابة، هل هذا ذنب؟

الراعية : كلا.. ولماذا تظن ذلك؟ **(صوت انفجار، ورصاص ، وصرخة، ثم يسود الصمت)** استشهد صاحبك، هل أنت حزين؟

الأول : كان من الممكن أن ينجو لو ذهبت بدلاً منه **(يقرأ عنوان الرسالة)** أوه.. ولكنه متزوج.

الراعية : كان من الممكن أن تعرف ذلك.

الأول : كيف.. كيف أعرف؟

الراعية : لو كنت أقل تعلقاً بزوجتك الشابة.

(مقاتل ١ يخرج، يدخل رأس الغول مع تابعيه، رأسه الأصفر فيه انشقاقات، خبا الضوء في العينين، يضع علامة على جذع الشجرة)

رأس الغول : أريد أن تصلا بالنشر إلى هذه النقطة.

تابع١ : هنا عقدة يستحيل نشرها.

تابع٢ : الجذع كله مليء بالعقد.

رأس الغول : لا شيء عندي مستحيل، نفذا الأمر. **(يخرج)**

التابعان : **(ينشران ويغنيان)**

طرق الموت الأبواب الخشبية

بم..بم..بم

صرَّت ..فتحت

من خلف الباب أطل الرأس الأسمر قال:

اذهب..اذهب

الراعية : **(تغني)** أنتما.. فزّاعة

في حقل عصافير حرّة

أنتما بضاعة

التابعان : اسكتي يا امرأة

نحن فزّاعة!؟

الراعية : فزّاعة

من ورق

من قصب

أنتما كيس محشو بالتبن

التابعان : أيتها المرأة الطيف

ما زلنا نزرع الخوف.

الراعية : في أنفسكم.

التابعان : انشر..انشر..لحن الموت

الراعية : وغداً

كل عصافير الحقل تعشش في عينيك

يا فزّاعة

التابعان : صه..

فغداً تثمر كل الأشجار

لحن الموت.

تابع٢ : انشر..انشر لحن الموت

تابع١ : انشر.. قبل أن يسقط الرأس الأصفر

من جسد السيد الأعظم.

تابع١ : فإذا سقط الرأس الأصفر

فقد السيد الأعظم

توازنه.

التابعان : **(يغنيان ساخرين)** نحن فزّاعة

في رأسنا فقاعة

نحن فزّاعة.

(إظلام، وإضاءة على الشهداء الثلاثة، يدخل شهيد رابع جديد هو المقاتل الثاني، الراعية تنتحي جانباً وتراقب الحوار)

شهيد٤ : **(يدخل ويتفحص المكان)** قيل لي: سأجد هنا رفاقاً سبقوني إلى هذا المكان.

شهيد٣ : أهلاً بك .. ادخل **(يتحلق حوله الجميع)**

شهيد١ : دماؤك لم تجف بعد.

شهيد٢ : ما زال غبار المعركة عالقا في شعرك وثيابك.

شهيد١ : هل أحسست بألم؟

شهيد٤ : كلا.. تمت النقلة كالحلم، شعرت بأنني أتذوق فاكهة الدنيا كلها دفعة واحدة، ثم سمعت غناء علوياً، ورأيت نفسي في مركبة تعبر جزراً خضراً مجهولة. آه..لو يجمع أحد أشلاء جسمي لأعود إلى الحياة ثانية.

شهيد١ : **(مازحاً)** ماذا؟ هل اشتقت إلى زوجتك بسرعة.

شهيد٤ : كلا.. ولكن لأذوق طعم الموت ثانية.

شهيد٣ : هذا ما أحسست به أيضاً، نكهة غريبة، ولذة عارمة، وطعم لا يوصف.

شهيد ١ : ولماذا لم أشعر أنا بذلك؟

شهيد ٣ : **(مازحاً)** لأنك تغص بالطعام.

شهيد ١ : **(ينظر إلى الرابع بإمعان)** هل التقينا من قبل؟

شهيد ٤ : أعتقد ذلك.

شهيد ١ : أين؟ ومتى؟

شهيد ٤ : في حفرة على حدود قرية، وكنتم جيراننا، بيتك ملاصق لبيتي، حتى كنت أسمع بكاء أطفالك.

شهيد ١ : أوه..صحيح..ما زالت ذاكرتك طازجة.

شهيد ٤ : وسقط علينا في الحفرة تراب كثير، كدنا ندفن أحياء.

شهيد ١ : كنا نسبح في الحفرة بحثاً عن الهواء.

شهيد ٤ : ولما بدأنا بالتنفس وجدنا أن كل شيء استحال إلى هواء.

شهيد ١ : الناس هواء، الكلام، الكتب، الخطب، الأخلاق، الشعارات، الوعود، التنمية، الانفتاح، الانغلاق، التحديث، التطوير.. الكون كله هواء.

شهيد ٤ : الأشجار ماتت من قلة الهواء.

شهيد ١ : أنا حزين.. حزين جداً.. أريد أن أموت.

شهيد ٢ : مات الموت.

شهيد٣ : وستبقى حزيناً إلى الأبد.

الراعية : يا بني، أنت حزين، ولكنك لست مذنباً، لقد وجدت ما يستأهل وجودك هنا، لقد عانيت كثيراً..ودفعت ما عليك من ضرائب، وسيذهب عنك الحزن حين تجتمع بعائلتك. أنت لست مذنباً.

شهيد١ : إذن، من المذنب؟

الراعية : الآخرون الذين أعدموا الهواء بقنابلهم الفراغية، والذين أفرغوا جيوب الفقراء في أكياسهم.

شهيد٤ : والأشجار التي ماتت من قلة الهواء؟

الراعية : ماتت وهي واقفة، ولكن ما تزال هذه الشجرة الأم العملاقة قائمة.

الجميع : ولكنها لم تزهر.

الراعية : أزهارها لا ترى بالعين، ولكن أؤكد لكم بأنها ستورق وتزهر.

الجميع : متى؟

الراعية : ليس لإزهارها وقت معين.

شهيد٣ : هل أزهرت فعلاً ونحن لم نشعر بذلك؟

شهيد٢ : أعتقد أنها ستزهر في الربيع القادم.

شهيد٤ : أشعر بأنها تزهر الآن. أحس بحركة الإزهار.

الراعية : راقبوا أنفسكم جيداً وترقبوا.

شهيد١ : لا أريد أن أكون متشائماً، ولكن ما يزال في الشجرة منشار.

الراعية : **(في اكتئاب)** أجل ما يزال غائصاً في الشجرة.

(إظلام وإضاءة على التابعين وهما ينشران الشجرة بنشاط)

التابعان : **(يغنيان)** انشر..انشر.. هذي الشجرة

اقطع هذا الجذع

وامنع عنها النسغ

حتى لا تدرك فصل الإزهار

(إظلام)

. . .

(إضاءة، تاجران يحمل كل منهما كيساً)

تاجر١ : كم جمعت؟

تاجر٢ : عشرين ألفاً..وأنت؟

تاجر١ : مائة ألف.

تاجر٢ : وكم ربح الصفقة المشتركة بيننا؟

تاجر١ : خمسون ألفاً.

تاجر٢ : هات النصف. **(يعطيه رزمة نقود)**

تابع١ : هل أنتما صديقان.

التاجران : ليس في التجارة صداقة، نحن دولاران.

تابع١ : ما اسمك أنت؟

تاجر١ : دولار.

تابع١ : وأنت؟

تاجر٢ : دولار.

تابع١ : مستر دولاران، ماذا تقتسمان؟

تاجر١ : غلة اليوم.

تابع١ : أنتما محظوظان.

تاجر٢ : بل ذكيان. **(صوت قصف ومعركة، ثم يخاطب صاحبه)** ألا تعتقد أننا يجب أن نختبئ. **(التاجر الثاني يفتح كيسه لا هياً عنه ويوجه فتحته إلى الأعلى)** ستصيبنا قنبلة **(يوسع الفتحة أكثر فينتفخ الكيس)** ماذا تفعل يا رجل؟

تاجر١ : أجمع صوت المعركة في كيسي.

تاجر٢ : أنت تعرض نفسك للقتل.

تاجر١ : نحن في مأمن يا غبي، المعركة هناك.

تاجر٢ : معك حق، أنت أكثر خبرة مني **(يفتح كيسه ويفعل مثل الأول)**

(يغني) أمطري يا سماء

واقصفي يا رعود

إن هذا البلاء

فرصة للثراء

تاجر١ : **(يربط كيسه ويخشخش فيه)** اسمع..اسمع.

تاجر٢ : **(يفعل مثله)** اسمع.. هذا الصوت مسكر مثل خمرة المساء.

تاجر١ : **(مشيراً إلى الكيس)** هنا المعركة.

تاجر٢ : نعم..هنا المعركة **(يخشخشان ويضحكان في سعادة)**

الراعية : **(وكانت تراقب المشهد)** اخرجا من هنا أيها الحقيران **(القصف يشتد)**

تاجر١ : ولماذا نخرج؟ إنهم يحاربون من أجلنا. نحن الوطن وكلنا يكسب، هم يكسبون الشهادة ونحن نكسب المال.

تاجر٢ : كل منا ضروري للآخر، نحن دعامة الاقتصاد الوطني.

الراعية : تكذبان.

تاجر١ : ولماذا نكذب؟ إنهم يفلحون الأرض هناك، وغداً يعودون بأذرع مقطوعة ووجوه مشوهة،

أما نحن فمواطنان نحصد ما يزرعون من أجل أن يستمر الوطن في الحياة.

الراعية : المعركة ستأتي على كل شيء.

تاجر١ : **(ساخراً)** أية معركة؟ ما يحدث هناك مجرد مسرحية.

الراعية : بل إنها الحرب..الثورة.

تاجر١ : **(ساخراً)** الحرب.

تاجر٢ : الثورة.

تاجر١ : سنعلبها ونصنعها لحماً مقدداً.

تاجر٢ : سنقيم لأبطالها التماثيل.

تاجر١ : ونمنحهم أوسمة الاستحقاق.

تاجر٢ : ونبعج بطون الكتب بالأسماء الباهرة.

تاجر١ : لهم المجد والتاريخ ولنا السلطة والمال، قسمة عادلة.

الراعية : **(تصرخ)** كفى.

تاجر١ : يا سيدتي، انظري في كيسنا **(يعمدان إلى خشخشة الكيس حين الحوار المتصاعد)**

تاجر٢ : مؤرخون أقلامهم حطب.

تاجر١ : ثوار كلماتهم غضب.

تاجر٢ : مرتشون.

تاجر١ : ملوك.. وزراء.. أباطرة.

تاجر٢ : موظفون.. سماسرة.

تاجر١ : اتفاقيات للسلام.

تاجر٢ : حديقة حيوانات.

تاجر١ : شوارع..بنايات.

تاجر٢ : كبريت. . متفجرات.

تاجر١ : فلاسفة.

تاجر٢ : لحوم مجمدة.

تاجر١ : كتب.. ألبسة قديمة.

تاجر٢ : أحذية..أراض.

تاجر١ : أطفال عيونهم زجاج.

تاجر٢ : مشردون..جائعون.. نازحون.

تاجر١ : عاهرات.

تاجر٢ : مشاريع ..مشاريع.

تاجر١ : في كيسنا لصوص.. لصوص.

تاجر٢ : وكلنا لصوص.

معاً : **(يغنيان)** كلنا للوطن.. للعلا..للعلم

الراعية : **(تصرخ)** كفى.. كفى.. اخرجا أيها اللصان.

التاجران : نحن شاطران.. هذه شطارة يا سيدتي **(يخرجان)**

(صافرات غارة جوية، رجل دفاع مدني، رجل هرم، أطفال ، امرأة عمياء)

دفاع مدني : إلى الملجأ يا عم.

الهرم : لا ملجأ إلا الله.

دفاع مدني : ألا تخاف على نفسك؟

الهرم : استوفيت حقي من الحياة، وهذه فضلة زائدة عن العمر.

التابعان : **(ينشران فتنكسر نصلة المنشار، فيدوران حول الشجرة ويغنيان)**

نحن فزّاعة
عيوننا زجاج
الله في رؤوسنا هواء
عروقنا قصب
وقلبنا حطب
وليس في بلادنا سماء

(يدخل ثلاثة أطفال يدورون حول رجل الدفاع المدني ويغنون ويلعبون)

الأولاد : دور دور يا عصفور
فاطمة بنت الرسول
شايلة تمر حنـــة

مكتوب على باب الجنة
باب النار للفجار
وباب الجنة للثوار
هيـــــــه

دفاع مدني : إلى الملجأ يا أولاد، ألا ترون الطائرات؟

ولد : هذه غربان سود.

الأولاد : **(يغنون ويدورون)**
يا قاق* يا حكة مكة
يا قاق يا درب السكة
يا قاق مرتك أمينة
يا قاق حبلة وسمينة
يا قاق.. **(يصرخ فيهم رجل الدفاع المدني)**

دفاع مدني : **(يصرخ)** كفى يا أولاد، اسمعوا الكلمة، إلى الملجأ إلا تخافون؟

الولد : لقد كبرنا، ما عدنا نخاف.

الكبير **(يصعد أحدهم على كتف الآخر أو على مستوى عال، والثاني تحته، والثالث يجلس على الأرض ويفتح كيسه)**

(*) القاق: هو الغراب الأسود في اللهجة المحكية.

الثاني : **(للأول الذي في الأعلى)**

ياطالع الشجرة

هات لي معك بقرة

تحلب وتسقيني

بالملعقة الصيني.

(يقطف من شجرة متوهمة ويناولها بالتسلسل، فيضعها الثالث في الكيس. المرأة العمياء تقف أمامهم وتتفرج)

دفاع مدني : وأنت يا خالة، إلى الملجأ.

العمياء : ماذا تفعلون يا أولاد.

الأول : **(في الأعلى)** نحن نقطة أرصاد جوية، نقطف الطقس ونضعه في الكيس.

دفاع مدني : يا خالة أنت ضريرة.. اذهبي .. هؤلاء أولاد رأسهم يابس ما ينكسر.

العمياء : سأسمع النشرة الجوية **(للأول)** أنت صغير كيف تعرف أحوال الطقس؟

الأول : أقرؤها في لوحة ضوئية تومض في الفضاء.

العمياء : أحسنت، أسمعني النشرة الجوية.

الأول : الغيوم تتراجع نحو الغرب.

العمياء : نحو الشرق يا حضرة النقطة.

دفاع مدني : **(مستغرباً)** هل أنت عمياء حقاً؟

التابعان : **(يدوران)** نحن فزّاعة

تسوقنا جماعة

الأول : يكون الجو صحواً، والشمس مشرقة، تهطل أمطار غزيرة بلا غيوم، أمطار من ماء ونور.

التابعان : نحن فزاعة

نزرع في الحقل المنون

وحقلنا جداره كرتون

الأول : الطقس يتبدل فجأة، منخفض جوي قادم، ويتوقع حدوث عواصف وسيول وفيضانات.

التابعان : وتجرف السيول ما في الحقل من بذور.

الأول : البحر هادئ، لكنه هدوء مريب، بحدث انكسار في طبقات البحر الصخرية، تسو..تسو..

العمياء : تسونامي..

الأول : تسونامي قادمة، يتوقع أن يرتفع منسوب المياه، ويغمر المد المفاجئ المدن على الشاطئ وحتى الصحراء.

التابعان : نحن فزّاعة

في حقل الأمطار

نحن سفينة

ثقبها الإعصار

الأول : ستدور الأرض حول شمس جديدة، تسرع في دورانها، وتنقص السنة بضعة أيام، وينشق القمر، ويصبح أكثر إنارة.

التابعان : نحن فزاعة.. نحن فزاعة.. لكننا نحس بالفناء.

الأول : **(يتابع قراءة الطقس)** وتشرق على الأرض أضواء جديدة خضراء، ويعم السلام أرجاء الكون.

(يسقط التابعان ميتين، يعود القصف)

العمياء : كم غراباً أسقطنا يا بني؟

الأول : **(في الأعلى)** لماذا تسألين؟ لحم الغربان لا يؤكل يا خالة.

العمياء : أجبني، كم غراباً أسقطنا؟

الأول : **(يقفز إلى الأرض)** أرها ما في الكيس.

العمياء : أوه.. هذا غراب فاحم اللون.

دفاع مدني : وتقولين إنك عمياء وتستندين إلى هذه العصا؟

(العمياء تلتفت إليه فيرى عينيها العمياوين القبيحتين فيشعر بالخوف)

الثالث : **(حامل الكيس)** هذا رغيف أسود سقط في حقل الذرة.

العمياء : كنت أحلم برغيف أبيض وأنا صغيرة.

الثالث : **(يخرج من الكيس الرأس الأصفر لرأس الغول)** وهذا الرأس غنمناه، لعبة مسلية.

العمياء : لعبة لم تعد مخيفة للأطفال.

(الولد الأول يخطف الرأس الأصفر ويهرب به، يلاحقه الولدان)

دفاع مدني : هؤلاء الأولاد يحبون اللعب.

العمياء : لكن الرؤوس لعبة خطرة.

دفاع مدني : الرؤوس غير المقطوعة فحسب.

(يخرج الجميع)

(الشهداء يتحركون باتجاه أغصان الشجرة المتدلية)

شهيد ١ : ماذا كسبنا اليوم

شهيد ٤ : كسبنا رأساً.

شهيد ١ : هل نعتبر ربح اليوم مقبولاً **(يهزون رؤوسهم موافقين)**

شهيد ٢ : تلك هي البطولة، أن نموت من أجل قضية عادلة.

شهيد٣ : ليست البطولة في أن نموت فحسب، وإنما في أن نعيش، نعيش من أجل قضية، إرادة الحياة كإرادة الموت.

شهيد١ : لكننا متنا، لم يعد لنا وجود في الحياة.

شهيد٣ : كلا.. وجودنا مستمر بوجود أبنائنا.

شهيد١ : ألمح رأس الغول قادماً بوجه جديد وأنياب جديدة، يحمل في يمناه راية بيضاء، وفي يسراه اتفاقيات وخرائط طريق للسلام والحرية والديموقراطية.

شهيد٢ : عاد يزرع الفتن والكراهية والفرقة بين الأخوة. من يُخدع به؟

شهيد٣ : هناك دائماً من يُخدع به.

شهيد٤ : أنا أعرفه جيداً، إنه لا يعيش على غير الدماء، لقد أصبح مدمناً. أخشى أن ينخدع الأبناء فيكون استشهادنا عبثاً.

شهيد٣ : لا تخش شيئاً ما دامت هذه الشجرة قائمة تزهر وتثمر، إن ما نخشاه أن يكف أبناؤنا عن سقاية هذه الشحرة فتموت، المنشار يغوص في الحطب اليابس بسرعة.

(صمت، يرفع كل من الشهداء يده فيلامس غصناً في الشجرة بحيث تبدو وقد أزهرت شهداء. تدخل الراعية لتسقي الشجرة)

الراعية : أرجو ألا تكون الشجرة قد حملت عبثاً **(تكسر**

رأس غصن) النسغ لا يصل إلى الأغصان العليا، والأزهار مهددة بالسقوط **(تلمس جذع الشجرة)** ستجهض هذه المرأة إذا لم نتداركها قبل فوات الأوان **(تتحسس رأس غصن آخر)** رؤوس الأغصان بدأت تجف، الحرارة في ارتفاع والنمو ينطلق من هذه الرؤوس وهي تموت، أخشى إن استمر الحمل في هذه الظروف السيئة أن ينمو الجنين بشكل عشوائي ويخرج مشوّهاً، لا أريد أن تتم الولادة بعملية قيصرية فأنا أخشى عليها، إنها الضوء الذي كان، والذي لم يولد بعد. **(للجمهور)** لماذا تنظرون في قلق وحزن؟ رحمها لايتحطب أبداً، هذه المرأة ولود، **(تأخذ قبضة من التراب)** لكن التربة جافة ومتشققة **(تسقيها)** عليّ ألا أتوقف عن السقاية، لا بد من إيقاف هذا الجفاف **(صمت)** حتى الآن كسبنا رأساً مقطوعاً وشجرة بدأت تزهر، وما زالت أمامنا رؤوس ورؤوس، وموسم الإزهار لم يزل في أوله، والرياح تشتد، وتسقط الحمل.

أيتها الشجرة.. أيتها الأم الكبرى.. مازلت

تعانين وأنت في الشهر الأول من الحمل.
(تلامسها في حنو) إنها تتألم.. أنا أتألم.. كلنا يتألم..كتب الألم علينا.. لكن الشمس ستشرق من جديد، إنها ترتفع.. انظروا .. إنها تنهض وترتفع.. لا بأس ، كتب علينا الألم والأمل، ولا بد أن نستمر في الحياة.
(الراعية تسقي الشجرة، الشمس ترتفع بشكلها المربع قليلاً وتبقى ملامسة جانب الجبل)

ستار النهاية

٢٠١٣/٤/١٥